



This book is provided in digital form with the permission of the rightsholder as part of a Google project to make the world's books discoverable online.

The rightsholder has graciously given you the freedom to download all pages of this book. No additional commercial or other uses have been granted.

Please note that all copyrights remain reserved.

### **About Google Books**

Google's mission is to organize the world's information and to make it universally accessible and useful. Google Books helps readers discover the world's books while helping authors and publishers reach new audiences. You can search through the full text of this book on the web at <http://books.google.com/>

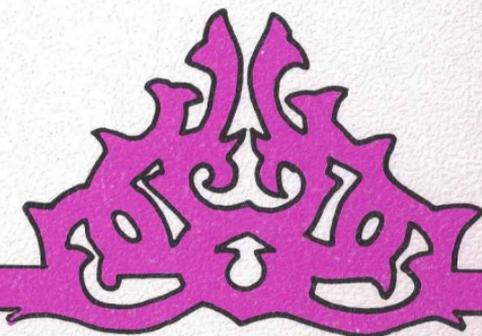
# الكُفْرُ وَالْمَكْرِهَاتُ

بِقِطْمَرِ

فَضِيلَةَ الْأَسْتَاذِ

أَخِي مُحَمَّدِ عَمْرٍو الدِّينِ البَيَّانُوفِيِّ

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى



دارُ السَّلَامِ

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿ إن الذين كفروا سواءً عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون .

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ، وعلى أبصارهم غِشَاوَةً ، ولهم عذاب عظيم ﴾ <sup>(١)</sup>

☆ ☆ ☆

---

(١) ٦ ، ٧ : البقرة .



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### الكفر والمكفرات

معنى الكفر :

الكفر في اللغة معناه : السّتر والتغطية .

ويسمى الليل « كافراً » لأنه يغطي كل شيء .

والكافر : الزارع ، والجمع كفّار .

قال الله تعالى : ﴿ كَثَلْ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ

نَبَاتِهِ ﴾ (١) .

يعنى الزّراع ، سُموا « كفّاراً » لأنهم يغطّون الحب .

والكفر في الشرع : تقيض الإيمان .

وهو إنكار شيء مما جاء به النبي ﷺ ، ووصل إلينا

بطريق يقيني قاطع :

ومن كفر بشيء مما يجب الإيمان به يسمى « كافراً » .

## أنواع الكفر :

والكفر ثلاثة أنواع :

الأول : الكفر الجهلي .

وسببه الغفلة عن الآيات الدالة على وجود الله تعالى ،  
ووحدانيته ، والإعراض عما جاء به الرسل عليهم الصلاة  
والسلام - ككفر العوامّ المشتغلين بالدنيا .

والجهل نوعان : بسيط ومركب :

فالبسيط أصحابه كالأنعام ، بل هم أضل .

وعلاجه التعلم .

والمركب هو اعتقاد بالقلب غير مطابق لما هو عليه .

وصاحبه يجهل الأمر ، ويجهل أنه يجهل .

وهو شرّ من الأول ، وقلماً يقبل العلاج .

والثاني : من أنواع الكفر : الكفر الجحوديّ العناديّ .

ومن أسبابه الاستكبار .

ككفر فرعون وملئه .

قال الله تعالى : ﴿ فاستكبروا وكانوا قوماً عالين \* فقالوا : أنؤمن لبشرين مثلنا<sup>(١)</sup> وقومها لنا عابدون ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ﴾<sup>(٣)</sup> .

ومن أسباب هذا النوع من الكفر :

حبُّ الرئاسة في الدنيا والخوف من زوالها :

ككفر هرقل ملك الروم بعدما ظهر له صدق النبي ﷺ ، من أجوبة أجابه بها أبو سفيان قبل إسلامه ، وعن أسئلة كثيرة سأله عنها .

فلما عَرَضَ على أساقفته الإسلام نفروا منه ، وبادروا إلى الأبواب معرضين يريدون الخروج .

(٢) ٤٦ ، ٤٧ - المؤمنون .

(١) وهما موسى وهارون .

(٣) ١٤ - النمل .

فأمر هرقل بردهم ، وقال : أردت أن أختبركم .

وصدّه حب الملك والرئاسة عن أتباع النبي ﷺ .

وعلاج حب الرئاسة أن ينظر الإنسان إلى الدنيا  
وكدورتها ، ليعلم أن مالا يبقى ولا يصفو ، لا ينبغي التعلّق  
به ولا الحرص عليه .

ومن أسباب هذا النوع من الكفر أيضاً : خوف الذمّ  
والتعير : ككفر أبي طالب .

روي أنه قال آياتاً يخاطب بها النبي ﷺ ومنها :

ودعوتني وزعمت أنك ناصحي

ولقد صدقت وكنت ثمّ أميناً

وعرضت ديناً لا محالة أنه

من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذارٌ مسبةٍ

لوجدتني سمحاً بذاك مييناً

ويلزم من خوف الذم والتعير ، حبّ المدح والثناء .

وقد يكون ذلك سبباً من أسباب هذا النوع من الكفر .

والثالث : من أنواع الكفر : الكفر الحكمي :

وهو ما جعله الشارع أمانة - أي علامة - على التكذيب .

كالاستخفاف بما يجب تعظيمه من الله تعالى ، وملائكته ،  
وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وما فيه من الحشر والحساب ،  
ووزن الأعمال ، والصراط ، والجنة ، والنار .

وكالاستخفاف بالشرعية وعلومها : كعلم التوحيد ،  
والتفسير ، والحديث والفقه ..

فمن استخف بشيء من ذلك ، فقد حكم الشارع بكفره ،  
سواء أكان الاستخفاف بالقول أو بالفعل .

والرضا بكفر نفسه كفرٌ مطلقاً ، وبكفر غيره كفر إن  
كان استحساناً له .

## قد يطلق الكفر على غير الكفر بالله

وقد يطلق الكفر على غير الكفر بالله تعالى ، ككفر  
النعمة والحقوق .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ، إِنَّ  
الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « يامعشر النساء تصدقن ،  
وأكثرن من الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار .

فقالَت إمرأة منهن جَزُلَةً - أي فصيحة - :

ومالنا يارسول الله أكثر أهل النار؟!

قال : تكثرنّ اللعن ، وتكفرنّ العشير - يعنى الزوج -  
ومارأيت من ناقصات عقل ودين أغلبّ لذي لبّ - أي عقل -  
منكن .

قالت : يارسول الله ! وما نقصان العقل والدين ؟

---

(١) ٣٤ - إبراهيم .

قال : أما نقصان العقل ، فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل .

فهذا نقصان العقل .

وتمكث الليالي ما تصلي ، وتفطر في رمضان ، فهذا نقصان الدين « (١) .

## أصول المكفرات

ترجع المكفرات إلى أصول ثلاثة :

اعتقادية ، وقولية ، وعملية .

### ١ - المكفرات الاعتقادية :

كإنكار الخالق سبحانه ، أو إنكار صفة من صفات الكمال فيه ، أو وصفه بما هو منزّه عنه :

كأتخاذ الزوجة والولد .

---

(١) مسلم .

أو اعتقاد أنه جسد من الأجساد .

أو اعتقاد عجزه في شيء .

أو أنه غير محيط علماً بكل شيء .

أو أنه غير عادل في أحكامه ، أو في قضائه وقدره ، ونحو

ذلك ..

وإنكار الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

أو تكذيبهم فيما ينقلون عن الله تعالى .

أو إنكار عموم رسالة نبينا محمد ﷺ .

أو إنكار أنه خاتم النبيين ، ونحو ذلك ..

وإنكار الملائكة أو الجن .

أو الكتب السماوية إجمالاً .

أو إنكار القرآن الكريم ، ولو آية منه .

وإنكار يوم القيامة والدار الآخرة ، والبعث ، والحساب ،

والجنة ، والنار ..

وإنكار فرضية شيء من فروض الإسلام :

كالصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحج أو الجهاد ..

وإنكار حرمة شيء من محرّمات الإسلام :

كالربا أو الزنى أو القتل أو الخمر أو الميسر ، أو سفور

النساء ..

واعتقاد حرمة شيء من المباحات في الإسلام ، مخالفة

لحكم الله فيها .

كتحريم أكل لحوم الأنعام باسم الرأفة والرحمة ..

فهؤلاء وأمثالهم كافرون ، تجري عليهم أحكام الإسلام في

الكافرين .

وإن ظهرت منهم هذه العقائد المكفرة بعد إعلان الإسلام

كانوا من المرتدين ، وأجريت عليهم أحكام أهل الردة

المذكورة في كتب الفقه .

## ٢ - المكفّرات القولية :

- هي كل قول فيه اعتراف بعقيدة مكفّرة .  
 أو فيه جحود لعقيدة من عقائد الإسلام .  
 أو فيه استهزاء بالدين في عقائده أو أحكامه .  
 ومن ذلك سب الخالق سبحانه ، أو سب الرسل ، أو  
 الكتب السماوية ، أو سب الدين .  
 أو الاعتراض على عدل الله تبارك وتعالى ، في قضائه  
 وقدره ، واتهامه بالجور سبحانه .  
 فمن قال قولاً من ذلك ، وهو في حالة يؤاخذ بها على  
 أقواله ، فقد كفر .  
 فإن كان كافراً أصلياً ، فقد دلّ على نفسه بذلك .  
 وإن كان من قبل مسلماً ، أصبح بذلك مرتدّاً عن  
 الإسلام ، تجري عليه أحكام المرتدين .  
 أما الذي لا يؤاخذ على أقواله : الغائب العقل ، والمكره ،

فلا يكفر بذلك ، ولا نحكم عليه بالكفر ، لقيام العذر الظاهر فيه .

قال الله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً ، فعليهم غضب من الله ، وهم عذاب عظيم ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٢) .

أي : تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه .

وأما حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه فغير مرفوع .

فلو أتلف المسلم شيئاً خطأ ، أو ضاعت منه الوديعة نسياناً ضمن .

ويستثنى من الإكراه الإكراه على الزنى والقتل ، فلا يباحان بالإكراه .

(٢) ابن ماجه والبيهقي .

(١) ١٠٦ - النحل .

ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه ، فإنه يأثم بفعله لتقصيره .

ومعلوم أن شرط التكليف والمؤاخذة على الأقوال والأفعال العقل والبلوغ .

### ٣ - والمكفرات العملية :

هي كل عمل يعتبر علامة ظاهرة على عقيدة مكفّرة كتمزيق المصحف مع قرينة الإهانة ، أو إلقاءه في القاذورات .  
وكتعليق الصليب على الصدر ، ووضع كل ما هو من شارات الكفر الخاصة ، مع قرينة التعظيم والاستحباب .

فمن فعل شيئاً من ذلك عالماً بأنه مكفّر ، حكنا عليه بالكفر ، وأجرينا عليه أحكام الكافرين الأصليين ، إن لم يسبق له إعلان إسلام .

وإن كان مسلماً ، أو من أسرة إسلامية ، أجرينا عليه أحكام المرتدين .

## الشرك من الكفر

من جعل مع الله إلهاً آخر ، أو أشرك معه في الربوبية رباً آخر ، أو عبَدَ مع الله معبوداً آخر ، فقد كفر بالله عز وجل .

قال الله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ،

وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ، ليمسّنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ (٢) .

﴿ ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ (٣) .

﴿ ومن يشرك بالله فقد ضلّ ضلالاً بعيداً ﴾ (٤) .

﴿ إنه من يشرك بالله فقد حرمّ الله عليه الجنة ﴾ (٥) .

(٢) ٣٦ - النساء .

(٤) ١١٦ - النساء .

(١) ٧٣ - المائدة .

(٣) ٤٨ - النساء .

(٥) ٧٢ - المائدة .

﴿ قل : تعالوا أتْلُ ما حرّم ربكم عليكم : أن لا تشركوا به شيئاً ﴾ (١) .

أمر الله تعالى العباد بعبادته وحده لا شريك له ، فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع أحوالهم . فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته .

وفي الحديث القدسي : قال الله تعالى :

« كذّبي ابن آدم ، ولم يكن له ذلك .

وشتني ، ولم يكن له ذلك .

فأما تكذّبيه إياي ، فزعم أنني لا أقدر أن أعيده كما كان .

وأما شتمه إياي ، فقلوله : لي ولد .

فسبحاني أن أتخذ صاحبة ولا ولد « (٢) .

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال :

« كنت ردّف الرسول ﷺ - أي راكباً خلفه - ليس بيني

(٢) البخاري .

(١) - الأنعام .

وبينه إلا مؤخرة الرحل

فقال : يامعاذ بن جبل !

قلت : لبيك رسول الله وسعديك .

ثم سار ساعة ، ثم قال : يامعاذ بن جبل !

قلت : لبيك رسول الله وسعديك .

ثم سار ساعة ، ثم قال : يامعاذ بن جبل !

قلت : لبيك رسول الله وسعديك .

قال : هل تدري ما حق الله على العباد ؟!

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإن حق الله على العباد :

أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً .

ثم سار ساعة ، ثم قال : يامعاذ بن جبل !

قلت : لبيك رسول الله وسعديك .

قال : هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : أن لا يعذبهم « (١) » .

---

(١) مسلم .

## الشرك نوعان

والشرك نوعان : جليّ وخفيّ ، أو أكبر وأصغر .

فالجليّ وهو الأكبر : أن يُعبد مع الله إله آخر .

والخفيّ وهو الأصغر : الرياء .

وهو إرادة نفع الدنيا بعمل الآخرة .

وضده الإخلاص .

فمن أراد بعمله ثواب الدنيا ، عَجَل له الثواب ، ولم يُنقص شيئاً في الدنيا ، وله في الآخرة العذاب ، لأنه جرّد قصده إلى الدنيا .

ولهذا جاء في الحديث الشريف :

« إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى » (١) .

فالعبد إنما يعطى على وجه قصده ، وبمكّم ضميره .

وهذا أمر متفق عليه في الأمم بين كل ملة .

---

(١) البخاري ومسلم .

## مذمة الرياء

وقد ذم الله تعالى المنافقين ، فوصفهم بالرياء فقال :

﴿ يراءون الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلاً ﴾ <sup>(١)</sup> .

وفي الحديث الشريف : « يقول الله تعالى :

أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه  
غيري ، تركته وشركه » <sup>(٢)</sup> .

« إذا جمع الله الأولين والآخرين ليوم القيامة ، ليوم  
لا ريب فيه ، نادى منادٍ :

من أشرك في عمل عمله لله عز وجل أحداً ، فليطلب ثوابه  
من عند غير الله ، فإنه الله أغنى الشركاء عن الشرك » <sup>(٣)</sup> .

وفي الحديث الشريف : « إن أول الناس يُقضى يوم  
القيامة عليه :

رجل استشهد ، فأُتي به ، فعرفه نعمته فعرّفها .

(٢) مسلم .

(١) ١٤٢ - النساء .

(٣) ابن ماجه .

قال : فما عملت فيها ؟

قال : قاتلتُ فيك حتى استشهدت .

قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال ، جريء .

أي شجاع - فقد قيل .

ثم أُمر به فسحب على وجهه ، حتى ألقى في النار .

ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن ، فأُتي به فعرفه

نعمه فعرفها .

قال : فما عملت فيها ؟

قال تعلمت العلم وعلمته ، وقرأت فيك القرآن .

قال : كذبت ، ولكنك تعلمت ليقال : عالم ، وقرأت

القرآن ليقال : قارئ ، فقد قيل .

ثم أُمر به ، فسحب على وجهه ، حتى ألقى في النار .

ورجل وسّع الله عليه ، وأعطاه من أصناف المال ، فأُتي

به ، فعرفه نعمه فعرفها .

قال : فما عملت فيها ؟

قال : ما تركت من سبيل تحب أن يُنفق فيها إلا أنفقت لك فيها .

قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال : جواد . فقد قيل .

ثم أمر به ، فسحب على وجهه ، حتى ألقى في النار « (١) .

وفي حديث آخر : « من سمع سمع الله به ، ومن يرأى يرأى الله به » (٢) .

ومعناه : أن من أظهر عمله للناس رياء ، فضحه الله يوم القيامة .

ومن أظهر للناس العمل الصالح ليعظم عندهم ، أظهر الله سريرته على رءوس الخلائق .

وفي حديث آخر : « من تعلمَ علماً مما يُبتغى - أي يقصد - به وجه الله عز وجل ، لا يتعلمه إلا ليصيب به عَرَضاً من

(٢) البخاري ومسلم .

(١) مسلم .

الدنيا ، لم يجد عرف الجنة - أي ربحها - يوم القيامة « (١) .

والعَرَض : متاع الدنيا وحطامها .

« وخرج رسول الله ﷺ مرة على أصحابه ، وهم يتذكرون المسيح الدجال .

فقال: ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟

قالوا : بلى يا رسول الله .

فقال : الشرك الخفي : أن يقوم الرجل ليصلي : فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل « (٢) .

وفي الحديث الشريف :

« إن أخوف ما أتخوّف على أمتي الإشراف بالله ، أما إني لست أقول . يعبدون شمساً ولا قرأ ولا وثناً ، ولكنّ أعمالاً لغير الله ، وشهوة خفية « (٣) .

(٢) ابن ماجه .

(١) أبو داود .

(٣) الترمذي .

وسئل الحسن رضي الله عنه عن الإخلاص والرياء .

فقال : من الإخلاص أن تحب أن تكتم حسناتك ، ولا تحب أن تكتم سيئاتك ، فإن أظهر عليك حسناتك ، تقول :

هذا من فضلك وإحسانك ، وليس هذا من فعلي ، ولا من صيغي .

وتذكر قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ (١) .

﴿ والذين يؤثون ما آتوا ، وقلوبهم وجلة ، أنهم إلى ربهم راجعون ﴾ (٢) .

أي يؤثون الإخلاص ، وهم يخافون أن لا يقبل منهم .

وأما الرياء : فهو طلب حظ النفس من عملها في الدنيا .

قيل : له كيف يكون هذا ؟

قال : من طلب بعملٍ بينه وبين الله تعالى سوى وجه الله تعالى والدار الآخرة ، فهو رياء .

(٢) ٦٠ - المؤمنون .

(١) ١١٠ - الكهف .

## قد يفضي الرياء إلى الاستهزاء

قال العلماء رضي الله عنهم : قد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به .

كما حكى أن طاهر بن الحسين قال لعبد الله بن المروزي :

منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟

قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة ، وأنا منذ ثلاثين سنة صائم .

فقال : يا أبا عبد الله : سألتك عن مسألة ، فأجبتنا عن مسألتين .

وحكى الأصمعي أن أعرابياً صلى فأطال ، وإلى جانبه قوم .

فقالوا : ما أحسن صلاتك ؟

فقال : وأنا مع ذلك صائم .

## دواء الرياء

ودواء الرياء إخفاء العمل الذي تميل النفس إلى إظهاره ،  
إلا ما لزم إظهاره : كالصلاة مع الجماعة ، والجمعة وأداء الزكاة  
المفروضة ..

وفي الحديث الشريف : « أن رسول الله ﷺ ذكر  
الشرك ، فقال :

هو فيكم أخفى من ديب النمل .

وسأدلك على شيء ، إذا فعلته ، أذهب عنك صغار الشرك  
وكباره .

تقول : اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم ،  
واستغفرك لما لا أعلم - تقولها ثلاث مرات - « <sup>(١)</sup> .

وقيل لبعضهم : ما دواء الرياء ؟

قال : كتمان العمل .

---

(١) الترمذي .

قيل له : كيف يُكتم العمل ؟

قال : ما كَلَّفْتَ إظهاره من العمل ، فلا تدخل فيه إلا بالإخلاص ، وما لم تُكَلَّفْ إظهاره ، أحبُّ أن لا يطلع عليه إلا الله .

قال : وكل عمل أطلع عليه الخلق : فلا تَعَدَّه من العمل .

أما من اطلع الله عليه خلقه ، وهو لا يجب إطلاعهم عليه ، فَيَسِّرُ بِنِصْحِ اللَّهِ وَبِفَضْلِهِ عَلَيْهِ ، فَسُرُورُهُ بِفَضْلِ اللَّهِ طَاعَةٌ .

كما قال تعالى : ﴿ قُلْ : بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا .. ﴾ (١) .

« قيل لرسول الله ﷺ : أرأيت الرجل الذي يعمل العمل من الخير ، ويحمده الناس عليه ؟

قال : تلك عاجل بشرى المؤمنين » (٢) .

(٢) مسلم .

(١) ٥٨ - يونس .

## نسبة الفعل لغير الله كفر

ومن الكفر نسبة الفعل لغير الله استقلالاً .

عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه أنه قال :

صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر السماء - أي بعد مطر - كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال :

« هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ »

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر .

فأما من قال : « مُطرنا بفضل الله ورحمته » فذلك مؤمن بي ، كافر بالكوكب .

وأما من قال : « مُطرنا بنوء كذا وكذا » فذلك كافر بي ، مؤمن بالكوكب « (١) » .

---

(١) مسلم .

## الناس فريقان : مؤمن وكافر

خلق الله تعالى الخلق ، وخلق بحكمته الشيء وضده .

فقدّر الإيمان والكفر ، وجعل في الناس المؤمن والكافر ، كما  
 قدر الهداية والضلال ، والطاعة والمعصية ، والنور والظلام ..  
 وقدّر الحسن والقبح ، والطول والقصر ، والعقل والحرق ،  
 والفقر والغنى ..

وفاضل بين ما خلق حتى في المآكل والمشارب .

قال عز وجل بعد ذكر بعض النعم :

﴿ وَنَفَضَلْ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ ﴾ (١) .

فالثمار والزروع مختلفة في أشكالها وألوانها وطعومها  
 وروائحها وأوراقها وأزهارها وخصائصها :

وهذا أبيض ، وهذا أسود ، وذاك أزرق ، والآخر أصفر ..

هذا غذاء نافع ، وهذا دواء ناجع ، وذاك سمّ نافع وكذلك

---

(١) - الرعد .

الزهور ، مختلفة في أشكالها وألوانها وروائحها وخصائصها ..

مع أنها كلها تستمد من طبيعة واحدة ، وهو الهواء .

فهذا وأمثاله آيات واضحة دالة على الفاضل المختار ،  
الذي فاوت بين الأشياء بقدرته ، وخلقها كما أراد ، وخص كلاً  
منها بخصائص .

وكذلك فضل الله تعالى الإنسان على الحيوان :

قال تعالى : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم .. ﴾ (١) .

وفاضل بين الناس في الظواهر والبواطن ..

قال تعالى : ﴿ والله خلقكم ، فمنكم كافر ومنكم

مؤمن .. ﴾ (٢) .

أي هو الخالق لكم على هذه الصفة ، وأراد منكم ذلك ، فلا  
بدّاً من وجود مؤمن وكافر ، وهو البصير بمن يستحق الهداية  
من يستحق الضلال ، وهو الشهيد على أعمال عباده ،  
وسيجزئهم أتم الجزاء .

(٢) ٢ - التناين .

(١) ٧٠ - الإسراء .

خلق الله تعالى الإنسان وقال فيه :

﴿ إنا هديناه السبيل ، إما شاكراً وإما كفوراً ﴾ <sup>(١)</sup> .

أي بيّنّا له وعرفناه طريق الهدى والضلال ، والخير والشر ، يبعث الرسل ، فآمن أو كفر .

وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ <sup>(٢)</sup> .

أي بيّنّا له سبيلي السعادة والشقاء .

وإنك لتقرأ كتاب الله عز وجل ، فترى فيه من مقدراته العجب العجاب :

فامرأة نوح وامرأة لوط زوجتان لرسولين كريمين ، كانتا كافرتين .

فما وافقتا على الإيمان ، وما صدقتا بالرسالة ، فلم تُجدِ قرابتهما شيئاً ، ولا دفعت عنها محذوراً !

وامرأة فرعون كانت مؤمنة ؟

(٢) ١٠ - البلد .

(١) ٣ - الإنسان .

قال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما <sup>(١)</sup> فلم يغنيا عنها من الله شيئاً ، وقيل : ادخلا النار مع الداخلين .

وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ، ونجني من فرعون وعمله ، ونجني من القوم الظالمين ﴿ <sup>(٢)</sup> .

كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم ، وهدى الله تعالى امرأته إلى الإيمان ، وقدر لها السعادة .

ضربها الله تعالى مثلاً للمؤمنين ، ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل ، لا يؤاخذ أحداً إلا بذنبه .

وقال تعالى في نوح عليه السلام وولده الذي كفر ، وكان من المغرقين :

﴿ ونادى نوح ربه فقال : رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين .

(١) أي : في الإيمان . (٢) ١٠ ، ١١ - التحريم .

قال : يانوح إنه ليس من أهلك ، إنه عملٌ غير صالح .. ﴿ (١) .

نفى عنه القرابة بسبب كفره ، ولم ينفعه أنه ولد رسول كريم ، وهو من أولي العزم من الرسل .

وقال تعالى في إبراهيم عليه السلام ، ودعوته أباه إلى الإيمان ، وإصرار أبيه على الكفر :

﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناماً آهة ؟؟  
إني أراك وقومك في ضلال مبين ﴾ (٢) .

فلم يؤمن بالله تعالى ، مع تلطّف إبراهيم به ، ودعوته إياه إلى الإيمان ، بأسلوب النصح الخالص ، والرقّة البالغة ، والأدب الرفيع :

قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم ، إنه كان صديقاً نبياً .

إذ قال لأبيه : يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ ، وَلَا

(٢) ٧٤ - الأنعام .

(١) ٤٥ ، ٤٦ - هود .

يفني عنك شيئاً ؟

يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك . فاتبعني أهدك  
صراطاً سوياً .

يا أبت لاتعبد الشيطان ، إن الشيطان كان للرحمن  
عصياً .

يا أبت إني أخاف أن يمَسَّكَ عذاب من الرحمن ، فتكون  
للشيطان ولياً ﴿ .

فأجابه أبوه الجواب الجافي ، وهدده بالوجم والهجر :

﴿ قال : أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ؟ لأن لم تنته  
لأرجمَتَكَ واهجرني ملياً ﴾ (١) .

ونبينا محمد ﷺ ، وهو خاتم النبيين ، وحبیب رب  
العالمین ، لم یؤمن به أبو لهب ، وأنزل الله في ذمه ووعيده  
سورة « المسد » قرأناً يتلى إلى يوم القيامة .

وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ بالجهر بالدعوة ، فخرج

إلى البطحاء . فصعد الجبل ، فنادى : « يا صباحاه !

فاجتمعت إليه قريش ، فقال :

أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبّحكم أو ممسيكم ، أكنتم  
تصدقوني ؟

قالوا : نعم .

قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

فقال أبو هب : ألهذا جمعتنا ، تبتاً لك - أي هلاكاً - فأنزل  
الله تعالى : ﴿ تبت يدا أبي هب وتبّ ۝ ﴾<sup>(١)</sup> .

وعن ربيعة بن عبّاد ، وكان جاهلياً فأسلم ، قال :  
« رأيت النبي ﷺ في الجاهلية في سوق ذي الحجاز ، وهو  
يقول :

« يا أيها الناس ! قولوا : لا إله إلا الله تفلحوا .

والناس مجتمعون عليه ، ووراءه رجل وضيء الوجه أحول ،

(١) سورة المسد ، والحديث رواه البخاري .

ذو غديرتين يقول :

إنه صابئ كاذب ، يتبعه حيث ذهب .

فسألت عنه فقالوا هذا : عمه أبو لهب « (١) .

وسلمان الفارسي رضي الله عنه ، خَلَفَ المجوسية وراء ظهره ، وقطع الفيافي القفار ، ساعياً وراء الإيمان ، والتقى برسول الله ﷺ ، فأمن به ، وقرّبه ﷺ ، وأدناه :

« خَطَّ رسول الله ﷺ الخندق عام الأحزاب ، حتى بلغ المذاحج - اسم مكان - فقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً .

فقال المهاجرون : سلمان منا .

وقال الأنصار : سلمان منا .

فقال ﷺ : سلمان منا أهل البيت « (٢) .

وفي هذا إكرام بالغ ، وفخار لسلمان عظيم .

وأبو عبيدة بن الجراح ، وهو أحد العشرة المبشرين

(٢) الطبراني .

(١) أحمد .

بالجنة ، قتل أباه كافراً يوم بدر .

وأبو جهل كان من ألد أعداء الإسلام ، وقتل كافراً يوم بدر ، وأسلم ابنه عكرمة رضي الله عنه .

وعبد الله بن أبيّ بن سلول ، كان رأس المنافقين في المدينة ، وابنه عبد الله من سادات الأنصار المؤمنين الصادقين رضي الله عنه .

وأمثال هذا كثير في عصر الصحابة رضي الله عنهم وفي كل عصر ، إلى يومنا هذا .

ويزول دهشك وعجبك إذا عرفت أن الله تعالى هو الذي قدّر الإيمان والكفر والسعادة والشقاء .

ففي الحديث الشريف : « إن أحدكم يُجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك .

ثم يُرسل إليه الملك ، فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقيّ أو سعيد .

فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها .

وإن أحدكم يعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها « (١) .

« ألا إن بني آدم خلِّقوا على طبقات شتى :

فمنهم من يولد مؤمناً ، ويحيا مؤمناً ، ويموت مؤمناً .

ومنهم من يولد كافراً ، ويحيا كافراً ، ويموت كافراً .

ومنهم من يولد مؤمناً ، ويحيا مؤمناً ، ويموت كافراً .

ومنهم من يولد كافراً ، ويحيا كافراً ، ويموت مؤمناً . (٢)

وفي الحديث الشريف : « إن الغلام الذي قتله الخضر ، طبع كافراً ، ولو عاش لأرهب أبويه طغياناً وكفراً » (٣) .

(١) البخاري ومسلم .

(٢) الترمذي .

(٣) مسلم .

ذلك هو الغلام الذي قال الله تعالى فيه في قصة موسى  
والخضر عليهما السلام .

﴿ فانطلقا ، حتى إذا لقيا غلاماً فقتله .

قال : أقتلت نفساً زكية بغير نفس ؟!

لقد جئت شيئاً نكراً ﴿ <sup>(١)</sup> .

أي منكرأ إلى أن قال : ﴿ وأما الغلام فكان أبواه  
مؤمنين ، فخشينا أن يرهقها طغياناً وكفراً .

فأردنا أن يبدلها ربها خيراً منه زكاة وأقرب رُحماً ﴿ <sup>(٢)</sup> .

وكم يصدق هذا ، الواقع المشاهد في كل عصر !

كان لي رفيق في الصف السابع ، أقبل على التدين إقبالاً  
عجيباً ، وكان من القلة المصلين بين الطلاب ، وكان لا يكاد  
يكلم أحداً من رفاقه إلا إياي . وغلب عليه حب التقشف ،  
وهو ابن نعمة .

وقضيت معه سنتين وهو على هذه الحال ، ثم افرقت بنا

(٢) ٨٠ ، ٨١ - الكهف .

(١) ٧٤ - الكهف .

سبل الدراسة ، وغاب عني وغبت عنه ، إلى أن التقينا في  
صف الشهادة الثانوية ، فإذا الوجه غير الوجه الذي أعرف ،  
فسلمت عليه ، وسألته عن حاله ، وقلت له : كأنك تغيرت !

فأجاب بهذا اللفظ : كنا غلطانين .

وتابع الدراسة ، وعاش بلا صلاة ولا دين ، وأظنه التحق  
بالملاحة الملاعين .

وحدثت أن رجلاً قضى من العمر ما يزيد على الستين ، في  
خمر وفجور ، لا يعرف صلاة ولا صياماً ، فلما أقبل رمضان  
ذات سنة ، أدركته نفحة من ربه ، كشفت الغشاوة عن قلبه ،  
فأعلن توبته ، وأقلع عن خمره وفسقه ، وشرع يصلي لا تفوته  
صلاة ، ودخل رمضان ، فاستقبله بالصيام والقيام ، ثم لم  
ينسلخ رمضان حتى توفي رحمه الله تعالى .

فسبحان الحكيم العليم ، مقدر الأمور على مقتضى علمه  
وحكمته !

## أكثر الناس كافرون

قال الله تعالى : ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ،  
على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وأوحى إلى نوح : أنه لن يؤمن من  
قومك إلا من قد آمن ﴾ (٢) .

﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ (٣) .

هذا وقد لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم  
إلى الإيمان .

وقال تعالى لنبينا ﷺ :

﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض ، يضلوك عن سبيل  
الله ﴾ (٤) .

وسمع عمر رضي الله عنه رجلاً يقول في دعائه :

اللهم اجعلني من عبادك القليل .

(٢) ٣٦ - هود .

(٤) ١١٦ - الأنعام .

(١) ٨٣ - يونس .

(٣) ٤٠ - هود .

فقال له عمر : ما هذا الدعاء ؟

فقال : أردت قول الله عز وجل :

﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، وَقَلِيلٌ  
مَّا هُمْ﴾ (١) .

فقال عمر معاتباً نفسه : كل الناس أفاقه منك يا عمر .

وفي الحديث الشريف : « والذي نفسي بيده ، إني لأرجو  
أن تكونوا نصف أهل الجنة .

وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفسٌ مسلمة ، وما أنتم من  
أهل الشرك ، إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ، أو  
كالشعرة السوداء في جلد الثور الأبيض » (٢) .

### الكفر أعظم الذنوب

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

سألت رسول الله ﷺ : أي الذنب أعظم ؟

(٢) البخاري ومسلم .

(١) - ٢٤ - ص .

قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » (١) .

وفي الحديث الشريف : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟

الشرك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، وقول الزور » (٢) .

« اجتنبوا السبع الموبقات - يعني المهلكات

قيل يارسول الله وماهن ؟

قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » (٣) .

---

( ١ ، ٢ ، ٣ ) : مسلم .

## النفاق

### النفاق أقبح أنواع الكفر

تعريفه :

النفاق : هو إظهار الإنسان غير ما يضر .

وهو مأخوذ من النافقاء ، وهو جحر اليربوع .

فاليربوع له جحر يقال له : النافقاء .

وآخر يقال له : القاصعاء .

وذلك أنه يخرق الأرض ، حتى إذا كاد يبلغ ظاهر الأرض ، أرقّ التراب ، فإذا رابه ريب ، دفع ذلك التراب برأسه فخرج .

فظاهر جحره تراب ، وباطنه حُفَر .

وكذلك المنافق ، ظاهره إيمان ، وباطنه كفر .

قال الله تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول : آمنا بالله

وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ﴿ (١) .

والنفاق أقبح أنواع الكفر ، لأنه كفر ومخادعة وكذب .

قال الله تعالى : ﴿ يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ (٢) .

والنفاقون جماعة من عرب المدينة ، وما حولها أعمى الله بصائرهم ، فأظهروا الإسلام ، وأخفوا الكفر خوفاً على حياتهم .

قال الله تعالى : ﴿ ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق (٣) لا تعلمهم ، نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين (٤) ثم يُرَدُّون إلى عذاب عظيم ﴾ (٥) .

وكان يرأس هذه الجماعة عبد الله بن أبي بن سلول الخزرجي ، الذي كان مرشحاً لرياسة أهل المدينة ، قبل هجرة رسول الله ﷺ إليها .

(٢) ٩ - البقرة .

(١) ٨ - البقرة .

(٤) أي بالأمراض في الدنيا وعذاب الآخرة .

(٣) أي لجوافيه وأبوا غيره .

(٥) ١٠١ - التوبة .

ولا شك أن ضرر المنافقين أشد على المسلمين من ضرر الكافرين الآخرين ، لأن المنافقين يدخلون بين المسلمين ، فيعلمون أسرارهم ، ويشيعونها بين الأعداء من اليهود وغيرهم ، كما حصل ذلك مراراً .

وكان النبي ﷺ يقبل ما ظهر ، ويترك لله ما بطن ، ومع ذلك فكان يحذرهم ، ولا يأمنهم في عمل .

ولما كان كفر المنافقين أقبح الكفر ، قال الله تعالى فيهم :

﴿ إِنِ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (١) .

والنار دركات سبع - أي طبقات ومنازل -

وكل ما تسافل درك ، وكل ماتعالى درج .

فالجنة درجات ، والنار دركات .

وفي الحديث الشريف : « في الجنة مئة درجة ، ما بين كل

درجتين كما بين السماء والأرض » (٢) .

(٢) البخاري والترمذي .

(١) ١٤٥ - النساء .

وقال الله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ، هِيَ حَسْبُهُمْ ، وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ (١) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (٢) .

## من أوصاف المنافقين

### المكر والخديعة

قال الله تعالى في ذمهم : ﴿ الَّذِينَ يَتْرِبْصُونَ بِكُمْ ﴾ (٣) ، فإن كان لكم فتح من الله (٤) قالوا : ألم نكن معكم ؟ وإن كان للكافرين نصيب (٥) قالوا : ألم نستحوذ عليكم ومنعكم من المؤمنين ﴿ (٦) .

ثم قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ

(٢) ١٤٠ - النساء .

(٤) أي غلبة على اليهود وغنبة .

(١) ٦٨ - التوبة .

(٣) ينتظرون بكم الدوائر .

(٥) أي ظفر .

(٦) أي ألم تغلب عليكم حتى هابكم المسلمون وخذلناهم عنكم .

خادعهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلاً .

مذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

### التشاغل عن الطاعة

وفي الحديث الشريف : « إن أثقل صلاة على المنافقين العتمة والصبح »<sup>(٢)</sup> .

لأن العتمة - وهي العشاء - تأتي وقد أتعبهم عمل النهار ، فيثقل عليهم القيام إليها .

وصلاة الصبح تأتي والنوم أحب إليهم من كل مفروح به ، ولولا السيف ما قاموا .

وفي رواية : « لو يعلمون مافي العتمة والصبح لأتوها ولو حبواً »<sup>(٣)</sup> .

(٢) البخاري ومسلم .

(١) ١٤١ ، ١٤٢ - النساء .

(٣) البخاري ومسلم .

## الكذب والحلف الكاذب

وقد أنزل الله تعالى في المنافقين سورة كاملة من القرآن الكريم اسمها : « سورة المنافقين » ذمهم فيها أشد ذم .

قال تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ .

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال :

كنت مع عمي ، فسمعت عبد الله بن أبي - المنافق - يقول :

لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا .

وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ .

فذكرت ذلك لعمي ، فذكر عي لرسول الله ﷺ .

فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه .

فحلفوا ما قالوا ، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني .

فأصابني همّ لم يصبني مثله ، فجلست في بيتي .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ إذا جاءك المنافقون .. ﴾ .

إلى قوله تعالى : ﴿ هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله .. ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ .

فأرسل إليّ رسول الله ﷺ ، ثم قال :

« إن الله قد صدّقك » (١) .

وعن زيد بن أرقم أيضاً أنه قال :

غزونا مع رسول الله ﷺ ، وكان معنا ناس من الأعراب ، فكنا نبتدر الماء - أي نستبق إليه ، وكان الأعراب يسبقوننا إليه ، فيسبق الأعرابي أصحابه ، فيملأ الحوض ، ويجعل حوله حجاره ، ويجعل النطع عليه - وهو بساط من جلد - حتى يجيء أصحابه .

---

(١) الترمذي .

قال : فأتى رجل من الأنصار أعرابياً ، فأرخصى زمام ناقته  
لتشرب ، فأبى أن يدعه ، فانتزع حجراً فغاض الماء .

فرفع الأعرابي خشبة ، فضرب بها رأس الأنصاري فشجّه .

فأتى عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين ، فأخبره - وكان من  
أصحابه - فغضب عبد الله بن أبيّ ثم قال :

لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله .

وكانوا يحضرون رسول الله ﷺ عند الطعام .

ثم قال لأصحابه : لئن رجعت إلى المدينة ليخرجن الأعز  
منها الأذل .

قال زيد وأنا ردف عمي - أي راكب معه على ناقته -  
فسمعت عبد الله بن أبيّ ، فأخبرت عمي .

فانطلق فأخبر رسول الله ﷺ .

فأرسل إليه - أي إلى ابن أبيّ - رسول الله ﷺ فحلف

وجحد .

قال : فصدقه رسول الله ﷺ وكذبي .

فجاء عمي إليه ، فقال : ما أردت أن يمقتك رسول الله ﷺ والمنافقون ، ويكذبونك !

فوقع علي من جرأتهم - أي من الكرب - ما لم يقع على أحد .

قال : فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ والمنافقون في سفر : قد خفت برأسي من الهم ، إذ أتاني رسول الله ﷺ ، فعرك أذني - أي مداعباً - وضحك في وجهي .

فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا .

ثم إن أبا بكر لحقني فقال : ما قال لك رسول الله ﷺ .

قلت : ما قال شيئاً ، إلا أنه عرك أذني ، وضحك في وجهي .

فقال : أبشر .

ثم لحقني عمر ، فقلت له مثل قولي لأبي بكر .

فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين « (١) .

وفي الحديث الشريف : « آية المنافق ثلاث :

إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان » (٢) .

« أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خصلة منهم ، كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها :

وفي رواية : وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم :

إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » (٣) .

حذر النبي ﷺ المؤمنين ، أن يعتادوا هذه الخصال ، شفقةً عليهم ، أن تفضي بهم إلى النفاق .

ثم قال تعالى في سورة المنافقين :

﴿ اتخذوا أيمانهم جنةً <sup>(٤)</sup> فصودوا عن سبيل الله ، إنهم ساء

(٢) البخاري ومسلم .

(٤) أي : ستره ووقاية .

(١) الترمذي .

(٣) البخاري ومسلم .

ما كانوا يعملون ﴿ .

وذلك أن ابن أبيّ حلف ما قال : وقد قال .

وقال تعالى عنهم في سورة براءة :

﴿ يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمة الكفر ﴾ <sup>(١)</sup> .

﴿ ويحلفون بالله إنهم لمنكم ، وما هم منكم ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ثم قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا ، فطبع على

قلوبهم فهم لا يفقهون .

وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم ، وإن يقولوا تسمع

لقولهم ، كأنهم خشب مسندة ، يحسبون كل صيحة عليهم ،

هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله <sup>(٣)</sup> أنى يؤفكون <sup>(٤)</sup> ﴿ <sup>(٥)</sup> .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : كان عبد الله بن أبيّ وسياً

جسماً ، صحيحاً صبيحاً ، ذلق اللسان ، فإذا قال ، سمع النبي

ﷺ مقالته .

(٢) - ٥٦ - التوبة .

(٤) أي يصرفون عن الرشد .

(١) - ٧٤ - التوبة .

(٣) أي لئلا يظنهم .

(٥) - ٣ ، ٤ - المنافقون .

وكذلك كان فيهم رجال ، لهم أجسام ومنظر وفصاحة .  
 وشبَّههم بالخشب المسندة إلى الحائط ، لا يسمعون ولا  
 يعقلون ، أشباح بلا أرواح ، وأجسام بلا أحلام .  
 يحسبون كل صيحة عليهم : وصفهم بالجن والخور إذا  
 نادى منادٍ في العسكر ، أن انفلتت دابة ، أو أنشدت ضالة ،  
 ظنوا أنهم هم المرادون ، لما في قلوبهم من الرعب .  
 ثم قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم : تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ  
 رَسُولَ اللَّهِ لَوَّوْا رِعْوَاهُمْ <sup>(١)</sup> ورأيتهم يصدّون وهم  
 مستكبرون ﴾ .

ذكر المفسرون : أنه اختلف أجير لعمر رضي الله عنه ،  
 مع حليف لعبد الله بن أبيّ ، فلطم أجير عمر الآخر ، فبلغ  
 ذلك عبد الله بن أبيّ ، فقال :

أَوْ قَدْ فَعَلُوهَا ؟ وَاللَّهِ مَامِثِلْنَا وَمِثْلَهُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :  
 « سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ » أَمَا وَاللَّهِ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ

(١) أي حركوها استهزاء وإيذاء .

الأعز - يعني نفسه - منها الأذل - يعني محمداً ﷺ .

ثم قال لقومه : كَفَّوْا طَعَامَكُمْ عَنْ هَذَا الرَّجُلِ وَلَا تَنْفَقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَهُ ، حَتَّى يَنْفِضُوا وَيَتْرَكُوهُ .

فقال زيد بن أرقم ، وهو من رهط عبد الله :

أنت والله الذليل المنتقص في قومك ، ومحمد ﷺ في عز من الرحمن ، ومودة من المسلمين ، والله لأجيبك بعد كلامك هذا أبداً .

فقال عبد الله : اسكت ، إنما كنت ألعب <sup>(١)</sup> .

وقال : ابن أبيّ لما لوى رأسه استهزاء :

أمرتموني أن أومن ، فقد آمنت ، وأن أعطي زكاة مالي ، فقد أعطيت ، فما بقي إلا أن أسجد لمحمد .

ثم قال تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ ، أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ، لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ .

(١) البخاري ومسلم .

هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، والله خزائن السموات والأرض ، ولكن المنافقون لا يفقهون .

يقولون لأن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، والله العزة ورسوله وللمؤمنين ، ولكن المنافقون لا يعلمون ﴿<sup>(١)</sup>﴾ .

ولما سمع بذلك ولده المؤمن عبد الله بن عبد الله بن أبي المنافق ، وقف لأبيه على باب المدينة ، وقال :

والذي لا إله إلا هو ، لا تدخل المدينة حتى تقول : إن رسول الله ﷺ هو الأعز ، وأنا الأذل .  
فقالها ، فخلّى سبيله فدخل المدينة .

---

(١) ٦ - ٨ - المنافقون .

## من فضائح المنافقين

وفضح الله تعالى المنافقين في سورة « التوبة » ومن أسائها  
سورة « براءة » حتى كان من أسائها « الفاضحة » : قال سعيد  
ابن جبير رضي الله عنه : سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن  
سورة « براءة » فقال :

تلك الفاضحة ، مازال ينزل : منهم ، ومنهم .. حتى خفنا  
أن لا تدع أحداً .

فمن فضائح المنافقين :

تخلفهم عن الجهاد :

ولما رجع النبي ﷺ من غزوة تبوك ، أظهر الله تعالى  
نفاق المنافقين ، فقال تعالى فيهم :

﴿ لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً <sup>(١)</sup> لا تبعوك ،  
ولكن بعدت عليهم الشقة <sup>(٢)</sup> وسيحلفون بالله لو استطعنا

---

(١) أي سهلاً (٢) أي السفر البعيد .

أخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم <sup>(١)</sup> والله يعلم إنهم  
لكاذبون ﴿ <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ ومنهم من يقول : ائذن لي ولا تفتني ،  
ألا في الفتنة سقطوا ، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين ﴾ <sup>(٣)</sup> .

قال بعض المنافقين لرسول الله ﷺ معذراً عن الخروج  
معه إلى تبوك :

قد عرف قومي أنني مغرم بالنساء ، وإني أخشى إن رأيت  
نساء بني الأصر - يعني الروم - أن لا أصبر عنهن فلا تفتني ،  
وائذن لي في القعود ، وأعينك بمالي .

فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال : « أذنت لك » .

ولم تكن به علة إلا النفاق .

وقال تعالى : ﴿ المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ،  
يأمرون بالمنكر ، وينهون عن المعروف ويقبضون

(٢) ٤٢ - التوبة .

(١) أي بالكذب والنفاق .

(٣) ٤٩ - التوبة .

أيديهم (١) .

نسوا الله فَنسيهم (٢) إِنْ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣﴾ .

### اللمزُ بالصدقات

قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَن يَلْمِزُكَ بِالصَّدَقَاتِ .. ﴾ .

أي يطعن عليك بسببها ويعيبك .

وصف الله تعالى قوماً من المنافقين ، بأنهم عابوا النبي ﷺ في تفريق الصدقات ، وزعموا أنهم فقراء ليعطيهم .

وفي الحديث الشريف : « بينا رسول الله ﷺ يَقِيمُ مالاً ، إذ جاءه حرقوص بن زهير ، أصل الخوارج ، ويقال له : ذو الخويصرة التيمي ، فقال :

إِعْدِلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ !

فقال : ويلك ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ ؟

(١) أي : يتركون الجهاد ، وما يجب عليهم من حق .

(٢) أي : جعلهم بمنزلة النسيء من ثوابه .

(٣) ٦٧ - التوبة .

فزلت هذه الآية . (١) .

وعندها قال عمر رضي الله عنه :

دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق .

قال : معاذ الله أن يتحدث الناس أي أقتل أصحابي ، إن هذا وأصحابه ، يقرءون القرآن ، لا يجاوز حناجرهم ، يرقون منه كما يرق السهم من الرمية .

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ، الَّذِينَ لَا يُجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ ، فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ . سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ ، وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) .

كان المنافقون يعيبون كل من تطوَّع بشيء من ماله في سبيل الله ، قلَّ أو كَثُرَ :

تصدَّق عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه بنصف ماله .

كان ماله ثمانية آلاف ، فتصدق منها بأربعة آلاف .

فقال المنافقون : ما أعظم رياءه !

(٢) ٧٩ - التوبة .

(١) مسلم .

وجاء رجل من الأنصار بنصف صُبْرَة (١) من تمر .

فقالوا : ما أغني الله عن هذا !

وجاء بعض فقراء المسلمين بنصف صاع .

فقالوا إن الله لغني عن صدقة هذا .

فأنزل الله تعالى هذه الآية في ذمهم .

أذاهم للنبي ﷺ

قال الله تعالى في المنافقين :

﴿ ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن (٢) ﴾

قل : أذنٌ خيرٌ لكم (٣) يؤمن بالله ، ويؤمن للمؤمنين (٤)

ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم

عذاب أليم .

(١) الصبرة : ما جمع من الطعام بعضه فوق بعض ، بلا كيل ولا وزن .

(٢) أي يستع ويقبل .

(٣) أي : يسمع الخير ولا يسمع الشر .

(٤) أي يصدقهم .

يخلفون بالله لكم ليرضوكم ، والله ورسوله أحق أن يرضوه  
إن كانوا مؤمنين ﴿ (١) .

### الحذر من الفضيحة

﴿ يحذر المنافقون أن تُنزل عليهم سورة تنبئهم بما في  
قلوبهم ﴾ .

أي من الخازي والمساوي والمثالب -

﴿ قل استهزءوا ، إن الله مخرج ما تحذرون .  
ولئن سألتهم ليقولنَّ : إنما كنا نخوض ونلعب .  
قل : أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون ﴾ (٢) .

قال المفسرون : بينما النبي ﷺ يسير في غزوة تبوك ،  
وركب من المنافقين يسيرون بين يديه ، فقالوا :

انظروا ، هذا يفتح قصور الشام ، ويأخذ حصون بني  
الأصفر - يعني الروم - !

(٢) ٦٤ ، ٦٥ - التوبة .

(١) ٦١ ، ٦٢ - التوبة .

فأطلع الله سبحانه على ما في قلوبهم ، وما يتحدثون به .

فقال احبِسُوا عَلَيَّ الركب .

ثم أتاهم فقال : قلم كذا وكذا .

فحلفوا : ما كنا إلا نخوض ونلعب - يريدون أنهم غير

جادين -

وأصل الخوض : الدخول في الماء ، ثم استعمل في كل

دخول فيه تلويث وأذى .

### الكذب

وقال تعالى فيهم : ﴿ يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا

كلمة الكفر ، وكفروا بعد إسلامهم ، وهموا بما لم

ينالوا ﴾ (١) .

نزلت هذه الآية في الجلاس بن سويد ووديعه بن ثابت ،

وقعوا في النبي ﷺ ، وقالوا :

(١) ٧٤ - التوبة .

والله لئن كان محمد صادقاً على إخواننا الذين هم سادتنا  
وخيارنا ، لنحن شرّ من الحمير .

فقال له عامر بن قيس رضي الله عنه : أجل والله إن محمداً  
لصادق مصدّق ، وإنك لشرّ من حمار .

وأخبر عامر بذلك النبي ﷺ ، وجاء الجُلاس ، فحلف  
عند منبر النبي ﷺ : إن عامراً لكاذب .

وحلف عامر : لقد قال .

وقال : اللهم أنزل على نبيك الصادق شيئاً .

فنزلت هذه الآية .

وهوّا بما لم ينالوا : ذلك أن الجُلاس لما قال له صاحبه :

إني سأخبر رسول الله ﷺ بقولك .

همّ بقتله ، ثم لم يفعل ، عجز عن ذلك .

## نقض العهد وإخلاف الوعد

وقال تعالى فيهم : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين .

فلما آتاهم من فضله ، بخلوا به ، وتولوا وهم معرضون .  
فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه ، وبما كانوا يكذبون .

ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم ، وأن الله علام الغيوب ﴿ (١) .

قال المفسرون : جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري ، إلى رسول الله ﷺ ، فقال :

يا رسول الله : ادع الله أن يرزقني مالاً .

فقال رسول الله ﷺ : ويحك يا ثعلبة ! قليل تؤدي شكره ، خير من كثير لا تطيقه .

ثم أتاه بعد ذلك فقال :

---

(١) ٧٥ - ٧٨ - التوبة .

يارسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالاً .

فقال رسول ﷺ : أما لك في رسول الله أسوة حسنة ؟

والذي نفسي بيده ، لو أردت أن تسير الجبال معي ذهباً  
وفضة لسارت .

ثم أتاه بعد ذلك فقال :

يارسول الله ، ادع الله أن يرزقني مالاً ، والذي بعثك  
بالحق ، لئن رزقني الله مالاً ، لأعطين كل ذي حق حقه !

فقال رسول الله ﷺ : اللهم أرزق ثعلبة مالاً .

فاتخذ ثعلبه غنماً ، فمتم كما ينمي الدود ، فضاقت عليه  
المدينة ، فتنحى عنها ، ونزل وادياً من أوديتها ، وهي تنمي  
كما تنمي الدود .

فكان يصلي مع رسول الله ﷺ الظهر والعصر ، ويصلي في  
غنه سائر الصلوات .

ثم كثرت وغتم ، حتى تباعد عن المدينة أيضاً ، حتى صار  
لا يشهد جمعة ، ولا جمعة .

فكان إذا كان يوم الجمعة ، خرج فتلقى الناس يسألهم عن الأخبار .

فذكره رسول الله ﷺ ذات يوم ، فقال : ما فعل ثعلبة ؟

فقالوا : يارسول الله ، اتخذ ثعلبة غنماً ما يسعها وادٍ !

فقال رسول الله ﷺ : ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة !

فأنزل الله آية الصدقة ، فبعث رسول الله ﷺ رجلاً من بني سليم ، ورجلاً من بني جُهينة ، وكتب لهما أسنان الصدقة ، وكيف يأخذان ؟

وقال لهما : مرّاً على ثعلبة بن حاطب ، ورجل من بني سليم فخذوا صدقاتها .

فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ .

فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، انطلقا حتى تفرغا ، ثم عودا إليّ .

فانطلقا ، وسمع بها السلمي ، فنظر إلى خيار أسنان  
إبله ، فعزها للصدقة ، ثم استقبلها بها .

فلما رأياها : قالوا ماهذه عليك .

قال : خذاها ، فإن نفسي بذلك طيبة .

فرا على الناس ، وأخذوا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة ،

فقال :

أروني كتابكما .

فقرأه ثم قال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت

الجزية ! اذهبا حتى أرى رأيي .

فأقبلا ، فلما رأها رسول الله ﷺ ، قال قبل أن يتكلما :

ياويح ثعلبة ! ياويح ثعلبة !

ثم دعا للسلمي بخير ، فأخبراه بالذي صنع ثعلبة . فأنزل

الله تعالى فيه :

﴿ ومنهم من عاهد الله .. ﴾ الآيات .

وكان عند رسول الله ﷺ حينئذ رجل من أقارب ثعلبة ،  
فسمع ذلك ، فخرج حتى أتاه ، فقال :

ويحك يا ثعلبة ، لقد أنزل الله فيك كذا وكذا .

فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ ، فسأله أن يقبل منه  
صدقته .

فقال : إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك .

فجعل يحثو على رأسه التراب .

فقال له رسول الله ﷺ : هذا عملك ، لقد أمرتك فلم  
تطعني .

فلما أبى رسول الله ﷺ صدقته رجع إلى منزله .

وقُبض رسول الله ﷺ ، فأتى أبا بكر ، فقال : اقبل  
صدقتي .

فقال أبو بكر : لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ، فأنا لا  
أقبلها .

فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه ، فلما وليَّ عمر ، أتاه فقال : اقبل صدقتي .

فقال : لم يقبلها منك رسول الله ﷺ ، ولا أبو بكر ، فأنا لا أقبلها منك .

ثم ولي عثمان ، فأتاه فلم يقبلها منه ، وهلك - أي مات - في خلافة عثمان (١) .

قال بعض العلماء : إنما لم يقبل رسول الله ﷺ صدقة ثعلبة ، لأن الله تعالى منعه من قبولها منه ، مجازاة له على إخلافه ما عاهد عليه ، وإهانة له على قوله :

إنما هي جزية ، أو أخت الجزية .

فلما صدر هذا القول منه ، رُدَّت صدقته عليه إهانة له ، وليعتبر غيره به ، فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس بإخراجها ، ويرى أنها واجبة عليه ، وأنه يثاب على إخراجها ، ويعاقب على منعها .

---

(١) البغوي والطبري .

وقال تعالى : ﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون .

الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة ، وهم لا يتقون ﴾ (١) .

وكل ما دبَّ على وجه الأرض فهو دابة ، فشمّل الإنسان والحيوان .

والمعنيُّ بهم هنا يهود بني قريظة والنضير ، تقضوا العهد الذي عقده مع النبي ﷺ ، فأعانوا مشركي مكة بالسلاح ، ثم اعتذروا « فقالوا : نسينا » .

فعاهدهم النبي ﷺ ثانية ، فنقضوا العهد يوم الخندق .

### مسجد الضرار

وقال تعالى في المنافقين أيضاً :

﴿ والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين ، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل ،

(١) ٥٥ و ٥٦ - الأنفال .

وليحلّفنَّ إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون .  
لا تقم فيه أبداً ، لمسجد أسس على التقوى من أول يوم  
أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا ، والله  
يحب المطهرين .

أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ، أم  
من أسس بنيانه على شفا جُرْفٍ هار ، فانهار به في نار  
جهنم ؟

والله لا يهدي القوم الظالمين .

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم <sup>(١)</sup> إلا أن  
تقطّع قلوبهم <sup>(٢)</sup> والله عليم حكيم ﴿ <sup>(٣)</sup> .

قال المفسرون : نزلت في أبي عامر بن صيفي الراهب ،  
وكان يلبس المسوح - يعني الجلود - في الجاهلية ، فكفر بالنبي  
ﷺ ، وذلك أنه دخل عليه المدينة ، فقال :

يا محمد : ما هذا الذي جئت به ؟

(١) أي : شكاً ونفاقاً .

(٢) أي : تنصدع قلوبهم فيوتوا .

(٣) ١١٠ - التوبة .

قال : جئت بالحنيفية دين إبراهيم .

قال : فإني عليها .

فقال النبي ﷺ : لستَ عليها ، لأنك أدخلت فيها ما ليس منها .

فقال أبو عامر : أمت الله الكاذب منا طريداً وحيداً .

فقال النبي ﷺ : أمت الله الكاذب منا كذلك .

وإنما قال أبو عامر هذا يُعَرِّضُ برسول الله ﷺ حيث خرج من مكة .

وقال للنبي ﷺ : لا أجد قوماً يقاتلونك إلا قاتلتك معهم .

فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين ، فلما انهزمت هوازن ، خرج إلى الروم يستنصر بهم .

فخرج إلى الشام ، ومرّ إلى قيصر ، وكتب إلى المنافقين :

استعدّوا ، فإني آتيكم من عند قيصر بجند ، لنخرج محمداً من المدينة .

فات بالشام وحيداً .

ووعدهم قيصر أنه سيأتيهم ، فبنوا مسجد الضرار ،  
يرصدون مجيئه فيه .

وقال آخرون : إن بني عمرو بن عوف ، اتخذوا مسجد  
قباء ، وبعثوا للنبي ﷺ أن يأتيهم ، فاتاهم فصلى فيه .

فحسداهم إخوانهم بنو غنيم بن عوف ، وقالوا : نبي  
مسجداً ، ونبعث إلى النبي ﷺ يأتينا ، فيصلي لنا كما صلى في  
مسجد إخواننا ، ويصلي فيه أبو عامر إذا قدم من الشام .

فاتوا النبي ﷺ ، وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا :

يا رسول الله ! قد بنينا مسجداً لذي الحاجة ، والعلة ،  
والليلة المطيرة ، ونحب أن تصلي لنا فيه ، وتدعوا بالبركة .

فقال النبي ﷺ : إني على سفر وحالٍ شغل ، فلو قدمنا  
لأتيناكم ، وصلينا لكم فيه .

فلما انصرف النبي ﷺ من تبوك ، أتوه وقد فرغوا منه ،  
وصلوا فيه الجمعة والسبت والأحد .

فدعا بقميص ليلبسه ويأتيهم ، فنزل عليه القرآن بنخبر  
مسجد الضرار .

فدعا النبي ﷺ أربعة من المسلمين ، فقال :  
انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدموه ،  
وأحرقوه .

فخرجوا مسرعين ، وأخرج أحدهم من منزله شعلة نار ،  
ونهبوا ، فأحرقوا المسجد وهدموه (١) .

وقد روي أن رسول الله ﷺ لما نزلت الآية في مسجد  
الضرار ، كان لا يمر في الطريق التي فيها المسجد ، وأمر  
بموضعه أن يتخذ كناسة مزبلة ، تُلقي فيه الجيف والأقذار  
والقمامات .

---

(١) وأبو عامر هذا صاحب القصة هو والد حنظلة غسيل الملائكة رضي الله عنه ،  
وسمي : غسيل الملائكة ، لأنه استشهد يوم أحد ، وغسلته الملائكة ، وذلك أنه كان  
قد ألم بأهله قبل خروجه إلى أحد ، ثم هجم عليه من الخروج في النفير ما أنساه  
الغسل وأعجله عنه ، فلما قتل شهيداً أخبر رسول الله ﷺ بأن الملائكة غسلته .  
« عن الاستيعاب » .

## فتنة المنافقين

ثم قال تعالى في المنافقين في أواخر سورة التوبة :

﴿ وإذا ما أنزلت سورة ، فمنهم من يقول :

أيكم زادته هذه إيماناً ؟

فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون .

وأما الذين في قلوبهم مرض ، فزادتهم رجساً إلى

رجسهم ، وماتوا وهم كافرون .

أو لا يرون أنهم يفتنون في كل مرة أو مرتين ﴿

أي يُخْتَبَرُونَ بالقحط والشدة ، أو بالأمراض والأوجاع ،

وهي روائد الموت ، أو بالغزو والجهاد مع النبي ﷺ ، ويرون

ما وعد الله من النصر .

﴿ ثم لا يتوبون ، ولا هم يذكرون .

وإذا ما أنزلت سورة ، نظر بعضهم إلى بعض .

« هل يراكم من أحد » ثم انصرفوا ، صرف الله قلوبهم

بأنهم قوم لا يفقهون ﴿

## هرهم من الاحتكام إلى الله والرسول

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا  
أُنزِلَ إِلَيْكَ ، وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ ، يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى  
الطَّاغُوتِ ، وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ  
يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ؟

وإذا قيل لهم : تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول ،  
رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً ﴿<sup>(١)</sup> .

كان بين رجل من المنافقين ، ورجل من اليهود خصومة .  
فدعا اليهودي المنافق إلى النبي ﷺ ، لأنه علم أنه لا يقبل  
الرشوة .

ودعا المنافق اليهودي إلى حكاهم ، لأنه علم أنهم يأخذون  
الرشوة في أحكامهم .

فلما اختلفا اجتمعا على أن يحكما كاهناً في جُهينة - اسم  
قبيلة - فأنزل الله تعالى الآية في ذلك .

(١) ٦٠ و ٦١ - النساء .

وفي رواية أخرى : كان بين رجل من المنافقين ، وبين  
يهودي خصومة .

فقال اليهودي : انطلق بنا إلى محمد .

وقال المنافق : بل إلى كعب بن الأشرف - وهو الذي سماه  
الله « الطاغوت » أي ذا الطغيان .

فأبى اليهودي أن يخاصمه إلا إلى رسول الله ﷺ .

فلما رأى المنافق ذلك ، أتى معه إلى رسول الله ﷺ فقضى  
لليهودي .

فلما خرجا قال المنافق : لأرضى انطلق بنا إلى أبي بكر .

فحكّم لليهودي ، فلم يرضَ ، وقال : انطلق بنا إلى عمر .

فأقبلا على عمر ، فقال اليهودي : إنا صرنا إلى رسول الله  
ﷺ ، ثم إلى أبي بكر ، فلم يرضَ .

فقال عمر للمنافق : أكذاك هو ؟

قال : نعم .

قال : رُوِيَ دَكَا - أي انتظرا - حتى أخرج إليكما .  
 فدخل وأخذ السيف ، ثم ضرب به المنافق ، حتى بَرَدَ - أي  
 مات - .

وقال : هكذا أفضي على من لم يرض بقضاء الله ورسوله .  
 وهرب اليهودي ، ونزلت الآية ، وقال رسول الله ﷺ :  
 أنت الفاروق .

### حرص النبي ﷺ على هدايتهم

وكان النبي ﷺ يصلي على المنافقين ، كلما مات واحد  
 منهم ، تلطفاً بهم ، وتألِيفاً لهم ، حتى نهاه الله تعالى عن ذلك  
 فقال :

﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على  
 قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله ، وماتوا وهم  
 فاسقون ﴾ (١) .

---

(١) - ٨٤ - التوبة .

ولما توفي عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين ، جاء  
ابنه عبد الله رضي الله عنه ، إلى رسول الله ﷺ ، فسأله أن  
يعطيه قميصه يكفن فيه أباه ، فأعطاه إياه .

ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله ﷺ ليصلي  
عليه .

فقام عمر رضي الله عنه ، وأخذ بثوب رسول الله ﷺ ،  
فقال :

يا رسول الله ، أتصلي عليه ، وقد هناك الله أن تصلي  
عليه ؟!

فقال رسول الله ﷺ : « إنما خيرني الله تعالى ، فقال :  
﴿ استغفر لهم ، أولا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين  
مرة ، فلن يغفر الله لهم .. ﴾ (١) .

وسأزيد على سبعين .

قال : إنه منافق !

(١) ٨٠ - التوبة .

فصلى عليه رسول الله ﷺ ، فأنزل الله عز وجل :  
﴿ ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً ، ولا تقم على قبره .. ﴾ فترك الصلاة عليهم <sup>(١)</sup> .

فإن قال قائل : كيف قال عمر :

أتصلي عليه ، وقد هناك الله أن تصلي عليه ؟

ولم يتقدم ذلك نهي عن الصلاة على المنافقين .

فالجواب : أنه يحتمل أن يكون ذلك وقع له في خاطره ،  
ويكون من قبيل الإلهام .

أو يحتمل أن يكون فهمه من قوله تعالى : ﴿ استغفر لهم ، أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ <sup>(٢)</sup> .

أو يحتمل أن يكون فهمه من قوله تعالى : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(٢) ٨٠ - التوبة .

(١) مسلم .

(٣) ١١٣ - التوبة .

## مَثَلُ الْمُنَافِقِ

قال الله تعالى في المنافقين :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ، فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون .  
صَمٌّ بَكْمٌ عُمِيٌّ فَهُمْ لَا يُرْجَعُونَ ﴾ (١) .

شبه الله تعالى المنافقين بالمستوقد النار ، لأن بقاء المستوقد في ظلمات لا يبصر ، كمثل المنافق في حيرته وتردده .

فالآية الكريمة صَرَبٌ مَثَلٌ لِلْمُنَافِقِينَ ، وذلك أن ما يظهره من الإيمان ، الذي تثبت لهم به أحكام المسلمين في النكاح والإرث والغنائم والأمن على أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، بمثابة من أوقد ناراً في ليلة مظلمة ، فاستضاء بها ، ورأى ما ينبغي أن يتقيه ، وأمن منه . فإذا طُفئته عنه ، أو ذهبت ، وصل إليه الأذى ، وبقي متحيراً .

فكذلك المنافقون ، لما آمنوا اغتروا بكلمة الإسلام ثم يصيرون بعد الموت إلى العذاب الأليم ، ويذهب نورهم .

(١) ١٧ و ١٨ - البقرة .

ولهذا قال الله تعالى فيهم :

﴿ يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظرونا نقتبس من نوركم .

قيل : ارجعوا وراءكم فالتسوا نوراً .

فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ ، بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ ، وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ .

ينادونهم : ألم نكن معكم ؟

قالوا : بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأماني ، حتى جاء أمر الله ، وغرکم بالله الغرور ﴿ (١) .

يعني الشيطان .

ثم قال تعالى في تشبيه المنافقين :

﴿ أو كصيب (٢) من السماء ، فيه ظلمات ورعد وبرق ، يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت ، والله

(١) ١٣ و ١٤ - الحديد ، والغرور : الشيطان .

(٢) أي : مطر .

محيط<sup>(١)</sup> بالكافرين ﴿٢﴾ .

وشبه الله تعالى في هذه الآية أحوال المنافقين ، بما في المطر  
من الظلمات والرعد والبرق والصواعق .

فالظلمات ، مَثَلٌ لما يعتقدونه من الكفر .

والرعد والبرق والصواعق ، مَثَلٌ لما يُخَوِّفون به .

﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم .. ﴾ .

أي تكاد حجج القرآن وبراهينه الساطعة تبهرهم .

﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه .. ﴾ .

أي كلما سمعوا القرآن ، وظهرت لهم الحجج أنسوا ومشوا

معه .

﴿ وإذا أظلم عليهم قاموا .. ﴾ .

أي إذا نزل من القرآن ما يعمون فيه ، وَيَضَلُّون به ، أو

(١) أي : عالمهم .

(٢) ١٩ - البقرة .

يُكَلِّفُونَهُ ، قاموا - أي ثبتوا على نفاقهم -

﴿ ولو شاء الله لذهب بمعهم وأبصارهم .. ﴾ .

أي لو شاء لأطلع المؤمنين عليهم ، فذهب منهم عز الإسلام ، بالاستيلاء عليهم ، وقتلهم وإخراجهم من بينهم .

وفي الحديث الشريف : مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ، كمثل الأترجة - البرتقالة - ريحها طيب وطعمها طيب .

ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن ، مثل التمرة : لا ريح لها ، وطعمها طيب .

ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن ، كمثل الريحانة : ريحها طيب ، ولا طعم لها .

ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن ، كمثل الحنظلة : ليس لها ريح ، وطعمها مرّ<sup>(١)</sup> .

وفي حديث آخر : مثل المنافق مثل الشاة العائرة - بين الغنمين - أي مثل الشاة المترددة بين قطعتين ، لا تدري أيهما

(١) البخاري ومسلم .

تتبع - تعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه أخرى (١) .

وهذا تفسير لقوله تعالى : ﴿ منذبذبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ﴾ .

وقال تعالى في المنافقين أيضاً : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا ، يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب (٢) .

لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم ، ولا نطيع فيكم أحداً أبداً .  
 وإن قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد إنهم لكاذبون .  
 لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن نصروهم ليؤننَّ الأدبار ، ثم لا ينصرون .  
 لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله ، ذلك بأنهم قوم لا يفقهون .

لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة ، أو من وراء جُدُر ، بأسهم بينهم شديد ، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون ﴾ (٣) .

(٢) يعني يهود قريظة والنضير .

(١) مسلم .

(٣) ١١ - ١٤ - الحشر .

بأسهم بينهم شديد : أي بالكلام والوعيد : لنفعلن كذا ،  
ولنفعلن كذا .

فإذا لم يلقوا عدواً ، نسبوا أنفسهم إلى الشدة والبأس ، وإذا  
لَقُوا العدو انهزموا .

وجعل الله تعالى مَثَل المنافقين في ذلك ، كمثل الشيطان  
فقال :

﴿ كمثل الشيطان إذ قال للإنسان : «كفر» .

فلما كفر قال : إني بريء منك .. ﴾ (١) .

ضرب الله هذا المثل للمنافقين واليهود في تحاذلهم وعدم  
الوفاء في نصرتهم بعدما وعدوهم بها :

وذلك أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يُجلي بني النضير من  
المدينة ، فدس إليهم المنافقون أن لا تخرجوا من دياركم ، فإن  
قاتلوكم كنا معكم ، وإن أخرجوكم كنا معكم .

فحاربوا النبي ﷺ ، فخذلهم المنافقون ، وتبرّءوا منهم كما

يتبرأ الشيطان من أغراه بالكفر وأغواه .

### من أقوال المنافقين الماكرة

قال الله تعالى فيهم يوم بدر : ﴿ إذ يقول المنافقون  
والذين في قلوبهم مرض : « غر هؤلاء دينهم <sup>(١)</sup> » ومن  
يتوكل على الله ، فإن الله عزيز حكيم ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى فيهم يوم الأحزاب : ﴿ وإذ يقول المنافقون  
والذين في قلوبهم مرض : ما وعدنا الله ورسوله إلا  
غروراً ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقال بعضهم لبعض : كيف يعدنا محمد كنوز كسرى  
وقيصر ، ولا يستطيع أحدنا أن يتبرز ؟!

﴿ وإذ قالت طائفة منهم : يا أهل يثرب لا مقام لكم  
فارجعوا .

ويستأذن فريق منهم النبي ، يقولون :

(١) يعني : المسلمين .

(٢) ٤٩ - الأنفال .

(٣) ١٢ - الأحزاب .

« إن بيوتنا عورة » <sup>(١)</sup> وما هي بعورة .  
 إن يريدون إلا فراراً ﴿ <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى في تهديدهم : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين  
 في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة ، لنغرينك بهم <sup>(٣)</sup> ثم  
 لا يجاورونك فيها إلا قليلاً .

ملعونين أينما ثقفوا <sup>(٤)</sup> أخذوا وقتلوا تقتيلاً ﴿ <sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ ومن الناس من يقول : « آمننا بالله »  
 فإذا أؤذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء  
 نصر من ربك ليقولنَّ : « إنا كنا معكم » أوليس الله بأعلم بما  
 في صدور العالمين ؟

وليعلمنَّ الله الذين آمنوا ، وليعلمنَّ المنافقين ﴿ <sup>(٦)</sup> .

(١) أي : ليست محصنة .

(٢) ١٣ - الأحزاب .

(٣) أي : لنسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل .

(٤) أي : وجدوا .

(٥) ٦٠ و ٦١ - الأحزاب .

(٦) ١٠ ، ١١ - العنكبوت .

نزلت في المنافقين ، كانوا يدعون الإيمان ، فإذا أوذوا في الله جعلوا أذى الناس كعذاب الله في الآخرة ، وجزعوا من الأذى كما يُجزع من عذاب الله ، ولا يصبرون على أذية في الله .

### الردة بعد الإيمان كفر

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم ، فتنقلبوا خاسرين ﴾ (١) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا من يردتكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين ﴾ (٢) .

﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه ، إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ، ولكن من شرح بالكفر صدراً ، فعليهم غضب من الله ، وهم عذاب عظيم ﴾ (٣) .

وقال تعالى في الكافرين مخاطباً المؤمنين ، ومحذراً لهم :

(٢) ٥٤ - المائدة .

(١) ١٤٩ - آل عمران .

(٣) ١٠٦ - النحل .

﴿ ولا يزالون يقاثلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا .

ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر ، فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴿ (١) .

﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله (٢) وهو في الآخرة من الخاسرين ﴿ (٣) .

تحذير النبي ﷺ أمته من الرجوع إلى الكفر

قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع :

« لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض » (٤) .

معناه : لاتفعلوا فعل الكفار .

أو : لاتكفروا ودوموا مسلمين .

(٢) أي : بطل ثوابه .

(٤) مسلم .

(١) ٢١٧ - البقرة .

(٣) ٥ - المائدة .

أو : لا تكفروا بعضكم بعضاً فتستحلوا قتال بعضكم بعضاً .  
 وفي الحديث الشريف : « بادروا بالأعمال فتناً كقطع  
 الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً ، ويمسي مؤمناً  
 ويصبح كافراً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا » (١) .

### المرتد يُقتل

والردة عن الإسلام كفر ، ومحبطة للعمل الصالح ،  
 وموجبة لقتل المرتد إن لم يتب ويَعُد إلى الإسلام .

ولهذا قاتل أبو بكر رضي الله عنه المرتدين ، فقتل منهم  
 من قتل ، ورجع منهم إلى الإسلام من رجع .

وفي الحديث الشريف : « لا يحل دم امرئ مسلم إلا  
 بإحدى ثلاث :

الثب الزاني : وهو من تزوج ووطئ ، ثم زنى بعد  
 ذلك .

والنفس بالنفس : وهو القتل بسبب القتل العمد .

---

(١) مسلم .

والتارك لدينه المفارق للجماعة « (١) .

وهو المرتد عن الإسلام ، والعياذ بالله تعالى ، فإن لم يعد إلى الإسلام يقتل .

المكره على الكفر ليس بكافر

قال الله تعالى : ﴿ إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾ (٢) .

وفي الحديث الشريف : « إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكروها عليه » (٣) .

أي تجاوز عنهم إثم الخطأ والنسيان وما استكروها عليه .

وأما حكم الخطأ والنسيان والمكره عليه فغير مرفوع :

فلو اتلف شيئاً خطأ ، أو ضاعت منه الوديعة نسياناً ضمن .

(٢) ١٠٦ - النحل .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) ابن ماجه ، والبيهقي .

ويستثنى من الإكراه الإكراه على الزنى والقتل فلا يباحان بالإكراه .

ويستثنى من النسيان ما تعاطى الإنسان سببه ، فإنه يَأْثَمُ بفعله لتقصيره .

### وصف غير الله بالألوهية كفر

أخبر الله تعالى عباده على السنة رسله أنه لا إله إلا هو ، وأنه لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ، فإنه مالك كل شيء وخالقه وربّه :

﴿ وقال الله : لا تتخذوا إلهين اثنين ، إنما هو إله واحد ، فإياي فارهبون ﴾ <sup>(١)</sup> .

وقال تعالى منكرأ على المشركين :

﴿ أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ونزه الله تعالى نفسه عن الولد والشريك فقال عز وجل :

(٢) ٦٣ - النحل .

(١) ٥١ - النحل .

﴿ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذن لنذهب كل إله بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض ﴾<sup>(١)</sup> .

وقال عز وجل : ﴿ أم اتخذوا آلهة من الأرض هم يُنشرون ؟ ﴾<sup>(٢)</sup> .

لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدتا .. ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿<sup>(٤)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ قل : لو كان معه آلهة كما يقولون إذن لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً .

سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾<sup>(٥)</sup> .

ولما سار موسى عليه السلام ببني إسرائيل بعد هلاك فرعون ، وأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم .

﴿ قالوا : يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة .

قال : إنكم قوم تجهلون .

إن هؤلاء متبر ما هم فيه ، وباطل ما كانوا

يعملون ﴾<sup>(٦)</sup> .

(١) ٩١ - المؤمنون . (٢) أي : أم يحيون الموتى ؟

(٣) يعني السموات والأرض . (٤) ٢١ ، ٢٢ - الأنبياء .

(٥) ٤٢ و ٤٣ - الإسراء . (٦) ١٣٨ ، ١٣٩ - الأعراف .

وقال تعالى فيهم : ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليتهم عجباً جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ؟ اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم .

قل : فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ؟  
والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ،  
والله على كل شيء قدير ﴾ (٢) .

نفى الله تعالى وصف الألوهية عن عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام ، وصرح أنها عبدان من عباد الله ، وله أن يتصرف بها ، وبجميع مخلوقاته بما يشاء ، والمتصرفُ إله قادر ، والمتصرفُ به مخلوق ضعيف .

وقد خلق الله تعالى عيسى ابن مريم من غير أب ، وبشرها به من قبل أن تحمل به ، وكان منها الدهش

(١) - ١٤٨ - الأعراف .

(٢) - ١٧ - المائدة .

والعجب ، فلفتها إلى قدرته العظيمة الباهرة :

﴿ إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه  
اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ،  
ومن المقربين .

ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين .

قالت : ربّ أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر ؟

قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول  
له كن فيكون ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث  
ثلاثة .

وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ،  
ليمنّ الذين كفروا منهم عذاب أليم .

أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم ؟  
مالسبح ابن مريم إلا رسول ، قد خلت من قبله  
الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين

(١) ٤٥ - ٤٧ - المائة .

لهم الآيات ، ثم انظر أنى يؤفكون ﴿ (١) .

وصف الله تعالى عيسى عليه السلام أنه مولود مربوب ،  
ومن ولدته النساء ، وكان يأكل الطعام ، مخلوق محدث كسائر  
المخلوقين ، ولم يدفع هذا الوصف عنه أحد منهم .

فمتى يصلح المربوب لأن يكون ربياً؟!!

حكى أن رجلاً من السلف الصالح ، مرّ بصومعة راهب ،  
فجلس إليه يحدثه ، وكان من حديثه معه أنه قال له :

كيف تعبدون عيسى عليه السلام ، وهو عبد مخلوق؟!!

قال الراهب : إنه فعل مالا يستطيعه البشر : إنه أمسك  
عن الطعام والشراب أربعين يوماً .

قال الرجل الصالح : وإذا أنا أمسكت عن الطعام  
والشراب مثله ، أفتعبدني؟

قال : إنك لا تستطيع .

قال : أفعل .

فلبث عنده أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ، ولا يغيب عنه في حال ، ولما أتم أربعين يوماً ، قال : أزيدك عشرة أيام .

فزاده عشرة أيام ، حتى أتم خمسين يوماً ، فأسلم الراهب .  
وهذا الذي فعله الرجل الصالح ، كرامة أكرمه الله تعالى بها ، وقواه عليها ، والكرامة أمر خارق للعادة يحصل على يد من ظاهره الصلاح غير مقترن بدعوى النبوة .

وهذا الموطن خير المواطن التي تظهر فيها كرامات الأولياء ، لأنه قصد من ورائها إسلام كافر ، فنيحَ ما فعل !

وقال تعالى : ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ، ولا تقولوا على الله إلا الحق ، إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا : « ثلاثة » انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما في السموات وما في الأرض ، وكفى بالله وكيلاً ﴾ (١) .

واعتقاد أن عيسى عليه السلام لا أب له واجب .

وقد كرّر الله تعالى اسمه منسوباً إلى أمه ، في كثير من آيات القرآن الكريم ، لتستشعر القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه ، ولينزه أمه الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله .

فعيسى عليه السلام رسول الله وكلمته : أي كونه بكلمة « كن » فكان بشراً من غير أب .

وقال تعالى فيه : ﴿ وروح منه ﴾ وهذا الذي أوقع النصارى في الضلال .

فقالوا : « عيسى جزء منه » جهلوا وضلوا .

والحق أن هذه الإضافة للتفضيل ، وإن كانت جميع الأرواح من خلقه .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ وطهر بيتي للطائفين .. ﴾ <sup>(١)</sup> .

فالله تعالى منزّه عن الولد ، كما هو منزّه عن البيت .

(١) الحج - ٢٦ .

وقد نفى الله تعالى عن عيسى عليه السلام وصف  
الألوهية ، فقال :

﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله  
الرسل .. ﴾ (١) .

وقال : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً  
لبني إسرائيل ﴾ (٢) .

### الكذب على الله كفر

قال الله تعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء  
الله وأحباءه .

قل : قَلِمَ يَعَذِبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ؟ بل أنتم بشر ممن خلق ، يغفر  
لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ﴾ (٣) .

خَوْفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قوماً من اليهود عقاب الله عز  
وجل .

(٢) - الزخرف . ٥٩

(١) - المائدة . ٧٥

(٣) - المائدة . ١٨

فقالوا كما يقول النصارى : لانخاف ، فإننا أبناء الله وأحباؤه .

فكانوا يرون فضلاً لأنفسهم على سائر الناس .  
فأنزل الله عز وجل هذه الآية فيهم ، وردّ عليهم قولهم  
فقال :

﴿ قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ ﴾

أي أوعد العصاة منكم بالعذاب .

وهم أمام هذا الرد لا يخلون من أحد وجهين :  
إما أن يعترفوا بما أوعدهم الله به من العذاب ، إن هم  
عصوه .

فيقال لهم : فلستم إذن أبناءه ولا أحباؤه ، فإن الحبيب لا  
يعذب حبيبه ، وأتم تقرّون بعذابه ، فذلك دليل على كذبكم .  
وإما أن يقولوا : « لا يعذبنا » فيكذبوا ما في كتبهم ،  
وما جاءت به رسلهم ، ويبيحوا المعاصي ، وهم معترفون بعذاب  
العصاة منهم ، ولهذا يلتزمون أحكام كتبهم .

وقال تعالى : ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً ؟  
 أولئك يُعرضون على ربهم ، ويقول الأشهاد :  
 هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على  
 الظالمين ﴾ (١) .

كذبوا على ربهم ، فأضافوا كلامه إلى غيره ، وزعموا أن له  
 شريكاً وولداً ، وقالوا للأصنام : هؤلاء شفعاؤنا عند الله .  
 وكل هذا كذب على الله تعالى .

وقال تعالى : ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله  
 وجوههم مسوّدة ، أليس في جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين  
 يسارعون في الكفر من الذين قالوا : « آمننا » بأفواههم ، ولم  
 تؤمن قلوبهم ، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون  
 لقوم آخرين لم يأتوك ، يحرفون الكلم من بعد مواضعه ،  
 يقولون : إن أوتيتم هذا فخذوه ، وإن لم تُؤتوه  
 فاحذروا ﴾ (٣) .

(٢) ٦٠ - الزمر .

(١) ١٨ - هود .

(٣) ٤١ - المائدة .

نزلت هذه الآية في يهوديين زنيا ، فجلدا .

فقال النبي ﷺ : « ائتوني بأعلم رجلين منكم .

فجاءوه ، فنشدهما الله تعالى : كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟

قالا : نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة ، رجما .

قال : فما يمنعكما أن ترجوها ؟

قالا : ذهب سلطاننا فكرهنا القتل .

فدعا النبي ﷺ بالشهود ، فجاءوا فشهدوا ..

فأمر النبي ﷺ فرجها « (١) .

ومرَّ على النبي ﷺ بيهودي مُحَمَّمًا - أي طلي وجهه بالفحم - مجلوداً ، فدعاهم فقال :

هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم ؟

---

(١) البخاري ومسلم .

قالوا : نعم .

فدعا رجلاً من علمائهم ، فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم ؟

قال : لا - ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك - نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقننا عليه الحد .

قلنا : تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه .

فأمر به فرجم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية <sup>(١)</sup> .

وقال تعالى فاضحاً تلاعب المشركين في دين الله ، وكذبهم على الله :

---

(١) مسلم .

﴿ وقالوا : هذه أنعام وحرثٌ حِجْرٌ <sup>(١)</sup> لا يَطْعَمُهَا <sup>(٢)</sup> إلا من نشاء بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ <sup>(٣)</sup> .

حَرَمُوا أَنْعَاماً وَحَرْتاً ، وَجَعَلُوهَا لِأَصْنَامِهِمْ ، وَقَالُوا : لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ وَهُمْ خَدَامُ الْأَصْنَامِ .

وَأَنْعَامٌ حَرَمَتْ ظُهُورَهَا : وَهِيَ الَّتِي يُسَيِّبُونَهَا - أَي يَتْرَكُونَهَا سَائِبَةً - لِأَهْتَمُّهُمْ .

والمراد بها : البَحيرة ، والسائبة ، والوصيلة ، والحامي :

### فَالْبَحِيرَةُ :

الناقة التي وُلدت خمس أبطن ، وكان آخرها ذكراً ، فيبحرون أذنبا - أي يشقونها - ويعفون ظهرها من الركوب ،

(١) أي : محجورة يعني ممنوعة .

(٢) أي : لا يأكلها .

(٣) ١٣٨ - الأنعام .

والحمل والذبح ، ولا تطرد عن ماء ترده ، ولا تمنع من مرعى ، وإذا لقيها المنقطع في طريق لم يركبها .

### والسائبة :

هي الناقة التي تابعت بين عشر أناث ، ليس بينهما ذكر ، فتُسَيَّب - أي تترك - فلا يُركب ظهرها ، ولا يُجَزَّ وبرها ، ولا يشرب لبنها إلا ضيف .

### والوصيلة :

هي الناقة التي وصلت بين عشرة أبطن ، فلا يشرب لبنها .

### والحامي :

الفحل من الإبل ، يضرب الضراب المعدود ، فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حامٍ - أي حمى ظهره - فيترك ، فلا يُنتفع منه بشيء ، ولا يُمنع من ماء ولا مرعى .

فكذبهم الله تعالى فقال : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على

الله الكذب ، وأكثرهم لا يعقلون ﴿ (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ، ومحرمّ على أزواجنا ، وإن يكن مَيْتَةً فهم فيه شركاء .

سيجزئهم وصفهم ، إنه حكيم عليم ﴿ (٢) .

وهذا نوع آخر من جهلهم وكذبهم على الله عز وجل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو اللبن جعلوه حلالاً للذكور ، وحراماً على الإناث .

وإن يكن ما في بطون الأنعام من الأجنّة مَيْتَةً ، فالرجال والنساء فيه شركاء .

﴿ سيجزئهم وصفهم ﴿ أي كذبهم وافتراءهم ، فيعذبهم على ذلك .

(٢) ١٣٩ - الأنعام .

(١) ١٠٣ - المائدة .

## الكذب في الرؤى

ومن الكذب على الله تعالى ، الكذب في الرؤى المنامية ، وهو من الكبائر .

لأن الرؤى المنامية وحي من الله تعالى .

ففي الحديث الشريف : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » (١) .

« الرؤيا الصالحة من الله » (٢) .

فن ادّعاها كاذباً ، كان كاذباً على الله عز وجل .

وفي الحديث الشريف : « من تحلّم بجلّم لم يره ، كلف أن يعقد بين شعيرتين ، ولن يفعل » (٣) أي لن يستطيع ذلك .

وفي حديث آخر : « إن من أفرى الفِرَى - أي من أكذب الكذب - أن يرى عينيه مالم ترّه » (٤) .

(٢) البخاري ومسلم .

'(٤) البخاري .

(١) البخاري ومسلم .

(٣) البخاري وأبو داود والترمذي .

فمن أكذب الكذب أن يقول أحد : رأيت في المنام كذا وكذا وهو لم يَر شيئاً . لأنه كذب على الله تعالى .  
﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً .. ﴾ (١) .

### التلاعب بأحكام الحلال والحرام كفر

قال الله تعالى : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ، يُضَلُّ به الذين كفروا ، يُحِلُّونَه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحللوا ما حرم الله ، زَيْنَ لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ (٢) .

كان العرب في الجاهلية يحرمون القتال في المحرم ، فإذا احتاجوا إلى ذلك ، حرموا صفاً بدله ، وقاتلوا في المحرم .  
وهو المراد بالنسيء : إذ معناه التأخير .

وسبب ذلك : أن العرب كانوا أصحاب حروب وغارات ، فكان يشق عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر متوالية لا يغيرون فيها .

(١) ٢١ ، ٩٣ - الأنعام ، ١٨ - هود ، ٦٨ - العنكبوت .

(٢) ٣٧ - التوبة .

وقالوا : لئن توالى علينا ثلاثة أشهر لا نُصيب فيها شيئاً  
لنَهلكنَّ .

فتأخير الشهر الحرام إلى شهر بعده ، تلاعبٌ بأحكام الحلال  
والحرام وهو من الكفر .

### الحيل الشرعية

الحيل الشرعية إذا أدت إلى إبطال حكمة تشريعية فحرام ،  
وإلا فلا :

فمن أمثلة الحيل المجازة مايلي :

١ - احتال يوسف عليه السلام لإبقاء أخيه بنيامين عنده  
في مصر ، فجعل صواع الملك في رحل أخيه ، ليتهم إخوته  
بالسرقة ، فيتوصل بسببها إلى إبقاء أخيه عنده .

وفي ذلك مصلحة له ولأخيه ، ولإخوته وأمه وأبيه ،  
وذلك بإبقاء صلة بينه وبينهم ، حتى يرجعوا إليه ، وتقرّ عين  
أبيه به .

ولم يترتب عليها إبطال حكمة تشريعية ، في إبطالها

مفسدة ظاهرة .

٢ - وقال تعالى في أيوب عليه السلام وامرأته :

﴿ وَخَذَ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ .. ﴾ (١) .

وذلك أن أيوب عليه السلام مسّه الضّرّ ، وطال به السقم ، وصبرت زوجته على البلاء ، وأقامت على خدمته ومواساته سنين ، فقالت له يوماً :

ياأيوب ! ادعُ الله تعالى أن يكشف عنك الضّرّ .

فغضب لأنه كان يؤثر الصبر والرضا ، على ماقدّر الله تعالى وقضى .

فقال لها : كم قضينا في النعيم ؟

قالت : ثمانين سنة .

وكم قضينا في البلاء ؟

قالت : سبع سنين .

قال : فأنا أستحي أن أسأل الله كشف البلاء قبل أن أقضي فيه ما قضيت في النعيم .

وحلف لئن شفاه الله ليضربنها مئة سوط .

فلما شفاه الله تعالى ، ولم تكن زوجته - وهي المرأة الصالحة - تستوجب هذه العقوبة ، أمره الله تعالى أن يأخذ بيده ضِعْثاً - أي قبضة من حشيش فيها الرطب واليابس ، وفيها قدر مئة عود فيضربها به .

وهذه حيلة كريمة في تخليص هذه المرأة الصالحة من الضرب الكثير ، على أن يَبْرَ أيوب عليه السلام في قسمه ، ولا يحنث .

٣ - وروي أنه اشتكى رجل من أنصار - أي مرض - حتى أضعى ، فعاد جلدة على عظم ، فدخلت عليه جارية لبعضهم ، فهشَّ لها ، فوقع عليها .

فلما دخل عليه رجال من قومه يعودونه ، أخبرهم بذلك ، وقال :

استفتوا لي رسول الله ﷺ ، فإني قد وقعت على جارية دخلت عليّ .

فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، وقالوا :

مارأينا بأحد من الناس من الضر مثل الذي هو به ، لو حملناه إليك لتفسخت عظامه ، وما هو إلا جلد على عظم .

فأمر رسول الله ﷺ أن يأخذوا له مئة شمراخ - أي عود - فيضربوه بها ضربة واحدة (١) .

وذلك أنه كان عزباً وحده الجلد لا الرجم .

فهذه حيل شرعية ترتبت عليها مصالح مشروعة في أحوال خاصة ، ولم تتعطل معها حكمة التشريع ، التي تقضي بإقامة الحدود زجراً للعصاة ، وحسباً لمادة الإجماع ، وتطهيراً للمجتمع من الآثام .

وما كان من هذا القبيل فجائز .

أما ما يترتب عليه تعطيل لحكمة التشريع ، فحرام .

ومن ذلك ما يفعله بعضهم من عقد النكاح على امرأة ، عقداً صورياً ، لتصحبه في سفر ليس معها فيه حرم ..

(١) أبو داود .

وكم وقع من جراء ذلك مفسد ومآثم !

ثم هم يكتفون بهذا العقد الصوري ، ولا يرضون بما يترتب عليه من أحكام شرعية من حقوق زوجية إذا رغب فيها الزوج ، وحقوق وراثة إذا مات أحدها .

وفي ذلك تعطيل لحكمة التشريع في ذلك كله .

ومن ذلك أيضاً الحيلة في الزكاة .

كتعمد الغني إخراج المال من ملكيته ، قبل أن يحول عليه الحول ، ثم استرداده بعد ذلك .

إذ يترتب على ذلك إبطال حكمة تشريع الزكاة ، التي هي حق الفقير ، والتي فيها حكمة اجتماعية كبرى ، لا سعادة للمجتمع إلا بها .

ومن ذلك أيضاً الحيل في الربا ، للتوصل إلى الربا بنصوص ظاهرها الجواز .

كالبيع بالعينة ؛ وهي : أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل بمئة ليرة مثلاً ، ثم يشتريه في المجلس بتسعين ليرة نقداً ، ليسلم

من الربا ، إذ يبقى له في ذمة الآخر عشر ليرات يطالبه بها ويؤدّها الآخر إليه .

وقيل لهذا البيع ، عينة ، لأن مشتري السلعة إلى أجل ، يأخذ ثمنها عيناً ، أي تقدماً حاضراً .

وفي ذلك إبطال لحكمة التشريع في تحريم الربا ، الذي يُثقل كاهل الفقير في وفاء ما عليه ، والإسلام دين الرأفة والرحمة والجلود والإحسان ، وإغاثة اللهفان .

### الحكم بغير ما أنزل الله كفر

قال الله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون ﴾<sup>(١)</sup> .

ومن ذلك تعطيل الحدود الإسلامية ، وإبدالها بقوانين جزائية أخرى .

فالله تعالى شرع الحدود وهي عقوبات زاجرة ، لتجتث الجرائم من جذورها وتطهّر المجتمع من التعدي ، فيعيش الفرد

(١) ٤٤ - المائة .

أمناً على نفسه وماله .. وبهذا تتحقق سعادة المجتمع .

ففي الحديث الشريف : « إقامة حدّ بأرض ، خير لأهلها  
من مطر أربعين صباحاً » <sup>(١)</sup>

وليتمهم إذ حكموا بغير ما أنزل الله ، استطاعوا أن يقمعوا  
الجرائم ، ويؤدّبوا المجرمين . لكنهم على العكس من ذلك ،  
فسحوا المجال للإجرام ، وجرّءوا الأنام على المعاصي والآثام .

الله تعالى أعلم بعباده ، فشرع لهم ما يصلحهم :

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟! ﴾ <sup>(٢)</sup>

### الكفر بالجزء كفر بالكل

قال الله تعالى مندداً على اليهود : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم :  
لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم  
أقررتم وأنتم تشهدون .

ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم  
من ديارهم ، تظاهرون <sup>(٣)</sup> عليهم بالإثم والعُدوان ، وإن

(٢) ١٤ - الملك .

(١) ابن ماجه .

(٢) أي تتعاونون .

يَأْتُوكمُ أُسَارَى تَفَادُوهمُ ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكمُ إِخْرَاجَهُمُ .

أَفْتَوُمنونَ بَعضَ الكِتابِ وَتَكفُرونَ بَعضَ ؟

فَما جِزاءُ مَنْ يَفعَلُ ذَلكَ مِنْكمُ ، إِلا خِزِيٌّ فِي الحِياةِ  
الدُّنيا ، وَيومَ القِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشدِّ العِذابِ ، وَمَا اللهُ  
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعمَلونَ ﴿ (١) .

إِنَّ اللهَ تَعَالَى أَخَذَ عَلى اليَهُودِ أربَعةَ عَهودٍ :

تَرَكَ القِتلَ ، وَتَرَكَ الإِخْرَاجَ ، وَتَرَكَ المِظَاهِرَةَ ، وَفِداءَ  
أَسارِهِمُ .

فَأَعْرَضُوا عَن كُلِّ ما أُمِرُوا بِهِ إِلا الفِداءَ ، فَوَجَّهَهُمُ اللهُ عَلى  
ذَلكَ تَوبيحاً يُتَلَى ، فَقالَ :

﴿ أَفْتَوُمنونَ بَعضَ الكِتابِ (٢) وَتَكفُرونَ بَعضَ .. ﴾ .

أَنكَرَ اللهُ تَعَالَى عَلى اليَهُودِ ، الَّذينَ كانوا فِي رِمانِ رِسولِ  
اللهِ ﷺ بِالْمِدينَةِ ما كانوا يَعانونَ مِنَ القِتلِ مَعَ الأوسِ  
وَالخِزِرجِ .

(٢) وَهُوَ التَّورَةُ .

(١) ٨٤ و ٨٥ - البقرة .

وذلك أن الأوس والخزرج - وهم الأنصار - كانوا في  
الجاهلية عبّاد أصنام ، وكانت بينهم حروب كثيرة .

وكان يهود المدينة ثلاث قبائل :

بنو قَيْنُقَاع ، وبنو النضير ، حلفاء الخزرج .

وبنو قريظة ، حلفاء الأوس .

فكانت الحرب إذا نشبت بينهم ، قاتل كل فريق مع  
حلفائه ، فيقتل اليهودي أعداءه ، وقد يقتل اليهودي الآخر  
من الفريق الآخر .

وذلك حرام عليهم في دينهم ونصّ كتابهم .

ويخرجونهم من بيوتهم ، وينتهبون ما فيها من الأثاث  
والأمتعة والأموال .

ثم إذا وضعت الحرب أوزارها ، فكّوا أسرارهم من الفريق  
الآخر عملاً بحكم التوراة .

ولهذا قال تعالى : ﴿ أفْتؤْمِنُونَ ببعض الكتاب وتكفرون

ببعض ؟ ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسوله ،

ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون « نؤمن ببعض ونكفر ببعض » ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً .

أولئك هم الكافرون حقاً ، وأعدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴿ (١) .

وإنما كان التفريق في الإيمان بين الله ورسله كفرأً ، لأن الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على ألسنة الرسل ، فإذا جحدوا الرسل ، ردّوا عليهم شرائعهم ، ولم يقبلوها منهم ، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها ، فكان كجحد الخالق سبحانه ، وجحد الخالق كفر ، لما فيه من ترك الطاعة والعبودية له .

وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر .

فاليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى وعمد عليهم الصلاة والسلام .

وكفرهم برسوله كفرّ به سبحانه وتعالى ، وكفرّ بكل

(١) ١٥٠ و ١٥١ - النساء .

رسول مبشّر به .

فالإيمان كلّ لا يتجزأ ، وليس بمؤمن من آمن بالله ، ولم  
يؤمن بملائكته .

ولا من آمن بملائكته ، ولم يؤمن برسله وكتبه .

ولا من آمن بكل هذا ، ولم يؤمن باليوم الآخر .

ولا من آمن ببعض ، وكفر ببعض .

ومن أنكر آية من كتاب الله كفر .

أو أنكر فرضية الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحج كفر .

أو أنكر شيئاً مما حرّم الله تعالى ، كقتل النفس بغيرالحق ،  
وكالربا ، والزنى ، والخمر ، والميسر ، وأكل أموال الناس  
بالباطل ، وتبرج النساء وسفورهن .. كفر .

## عمى الكافر عن آيات الله تعالى

قال الله تعالى في ذم الكافرين :

﴿ صَمَّ بَكْمَ عَمِيَٰ فِهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

﴿ صَمَّ بَكْمَ عَمِيَٰ فِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى لافتاً أنظار العباد إلى مظاهر قدرته ،  
وعجائب مخلوقاته ، ليدلَّهُم ذلك على الإيمان واليقين :

﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجِ كَرِيمٍ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ .

وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ؟ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ومن هذه الآيات حياة الأرض بالمطر ، وظهور النبات  
فيها ، ثم صيرورته هشياً تذروه الرياح ..

(٢) ١٧١ - البقرة .

(١) ١٨ - البقرة .

(٤) ٢٠ و ٢١ - الناريات .

(٣) ٧ - الشعراء .

ومن هذه الآيات تقدير الأقوات في الأرض قواماً  
للحيوانات .

وهداية كل حيوان إلى ما فيه صلاحه وبقاء حياته .

إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر ، ولو تتبَّعه  
الإنسان لأخذه العجب ، ووقف ذاهلاً أمام قدرة الله تعالى  
ودقائق تدبيره !

ومن الآيات الباهرات في النفوس البشرية :

خلقها في أحسن تقويم ، وإدراك المحسوسات بالحواس ،  
من سمع وبصر وذوق وشمّ ولمس .

والقناة الهضمية ، والدورة الدموية ، والجملة العصبية .

إلى غير ذلك مما لا يُعدّ ولا يحصى ، وما يعلمه الإنسان  
منها قليل من كثير .

ومن مواطن العبرة ما ذكره الله تعالى في قوله :

﴿ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ : نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بَطُونِهِ مِنْ

بين فرثٍ (١) ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴿ (٢) .

أي لذيذاً هيناً لا يفصّ به من شربه .

نَبّه الله تعالى على عظيم قدرته بخروج اللبن اللذيذ ،  
خالصاً بين الأقدار والدم ، وكل ذلك كربه تعافه النفس .

وهذا اللبن مكوّن من عناصر ، لو أعطيت عناصره إلى أعلم  
العلماء ، وأكمل الخباير ، وكلفوا أن يصنعوا منها ذرة من  
اللبن ، لوقفوا حيارى عاجزين ، في الوقت الذي تقوم فيه  
بهذه الوظيفة خلية الثدي ، التي لا تُرى بالعين المجردة ، والتي  
لا تزيد عن كونها خلية صغيرة مكوّنة من لحم ودم .

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو  
شاهد ﴾ (٣) .

﴿ ويريكم آياته فأَيُّ آيات الله تنكرون ﴾ (٤) .

ومن الآيات التي عمي عنها الكافرون ، ولفتهم الله تعالى

(٢) ٦٦ - النحل .

(٤) ٨١ - غافر .

(١) أي : زيل .

(٣) ٣٧ - ق .

إليها ما جاء في قوله تعالى :

﴿ أو لم يرَ الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً <sup>(١)</sup> ففتقناهما ، وجعلنا من الماء كل شيء حي ؟ أفلا يؤمنون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ كيف تكفرون بالله ، وكنتم أمواتاً <sup>(٣)</sup> فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم إليه ترجعون ﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿ أفلم يسيروا في الأرض ، فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها ، أو آذانٌ يسمعون بها ؟ فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ <sup>(٥)</sup> .

ضمى الأبصار ، يحرم صاحبه رؤية المرئيات المحسوسة .

وعى القلوب ، يحرم صاحبه العظة والاعتبار والهدى .

﴿ أولئك الذين لعنهم الله ، فأصمهم وأعمى

(٢) ٣٠ - الأنبياء .

(٤) ٢٨ - البقرة .

(١) أي : قطعة ملتئمة .

(٣) أي : عندما .

(٥) ٤٦ - الحج .

أبصارهم ﴿ (١) .

أي سلبهم الانتفاع بأسماعهم وأبصارهم .

وقال تعالى معزياً رسوله ﷺ في كفر الكافرين :  
﴿ أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون ؟ ﴾ (٢) .

### الكفر بالله جهل وحمق

الإيمان بالله من بدهيات العقل السليم .

قال الله تعالى في حاجة الرسل أقوامهم :

﴿ قالت لهم رسلهم : أفي الله شكّ فاطر السموات  
والأرض .. ؟ ﴾ (٣) .

فإن شواهد الحدوث والخلق والتسخير ظاهرة على السموات  
والأرض وما فيها ، فلا بد لكل هذه الموجودات من صانع ،  
وهو الله لا إله إلا هو ، خالق كل شيء ومليكه .

(١) ٢٣ - محمد .

(٢) ٤٣ - يونس .

(٣) ١٠ - إبراهيم .

فمن أنكر الخالق مع رؤية المخلوق ، كان من أحمق الحمقى ،  
وأجهل الجاهلين .

نظر أعرابي في السماء والأرض نظرة اعتبار ، حرّكت في  
قلبه الإيمان والإذعان ، فقال :

الماء يدل على الغدير ، وأثر الأقدام على المسير ، أفسماً  
ذات أبراج ، وأرض ذات فجّاج ، ألا تدلان على العليم  
الخبير ؟!

ثم إن الإنسان يرى خلق الإنسان في بطن أمه ،  
وتطورات نموّه ، ثم ولادته طفلاً ، ثم ترعرعه شيئاً فشيئاً ،  
حتى يكون بشراً سوياً ..

فأيّ حمق أنكى ، وأيّ جهل أشد ، ممن يرى هذا كله ، ثم  
هو ينكر وجود الصانع ، ويجدد الخالق المبدع ؟!

﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن  
أنفسهم وما لا يعلمون ﴾ (١) .

﴿ وما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (١) .

### تكذيب الرسل دَيَدَنَ الكافرين

قال الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه : إني لكم نذير مبين .

أن لا تعبدوا إلا الله ، إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم .  
فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما نراك إلا بشراً مثلاًنا ، وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي (٢)  
وما نرى لكم علينا من فضل ، بل نظنكم كاذبين ﴾ (٣) .

وبعد أن ذكر الله تعالى ما وقع لقوم نوح من الطوفان جزاء التكذيب قال :

﴿ ثم أرسلنا رسلنا تترى (٤) كما جاء أمةً رسولها كذّبوه ، فأتبعنا بعضهم بعضاً ، وجعلناهم أحاديث (٥) فبعداً

(٢) أي : ظاهر الرأي .

(٤) أي : متتابعين .

(١) ٦٧ - الزمر .

(٢) ٢٥ - ٢٧ - هود .

(٣) أي : أخباراً وعبراً يُضرب بهم المثل .

لقوم لا يؤمنون ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً .

قال : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ، أفلا

تتقون ؟

قال الملأ الذين كفروا من قومه :

إنا لنراك في سفاهة (٢) وإنا لنظنك من الكاذبين ﴿ (٣) .

وذكر الله تعالى بعض الأمم ، ثم قال :

﴿ إن كلَّ إلا كذب الرسلَ ، فحقَّ عقاب ﴿ (٤) .

وقال الله تعالى يصوّر عناد الكافرين وتكذيبهم الرسل :

﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس ، فمسوه بأيديهم ،

لقال الذين كفروا :

إن هذا إلا سحر مبين ﴿ (٥) .

(١) ٤٤ - المؤمنون .

(٢) أي : جنون .

(٣) ٦٥ و ٦٦ - الأعراف .

(٤) ١٤ - ص .

(٥) ٧ - الأنعام .

أي لو عاينوا ذلك ومسّوه بالأيدي كما اقترحوا، وبالغوا في  
تقليبه، ليرتفع كل ارتياب، ويزول عنهم كل إشكال،  
لعاندوا فيه، وبقوا على كفرهم، وقالوا:

« سحر مبين » إنما سكرتُ أبصارنا « و » سحرنا » ..

وهذه الآية جواب لقولهم:

﴿ حتى تُنزل علينا كتاباً نقرؤه ﴾ .

وقال تعالى: ﴿ ومنهم من يستمع إليك ، وجعلنا على  
قلوبهم أكنة <sup>(١)</sup> أن يفقهوه ، وفي آذانهم وقراً <sup>(٢)</sup> وإن يروا  
كل آية لا يؤمنوا بها ، حتى إذا جاءوك يجادلونك ، يقول  
الذين كفروا : « إن هذا إلا أساطير الأولين » ﴾ <sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى: ﴿ ويقول الذين كفروا : « لست مرسلًا » .  
قل : كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومن عنده علم  
الكتاب ﴾ <sup>(٤)</sup> .

(١) أي : أغطية .

(٢) أي : ثقلاً .

(٣) ٢٥ - الأنعام .

(٤) ٤٣ - الرعد .

وهم الذين آمنوا من أهل الكتاب : كعبد الله بن سلام ،  
وسلمان الفارسي ، وتميم الداري ، والنجاشي ، وأصحابه .

وقال تعالى لنبينا ﷺ : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ :  
أُنذِرْتُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادَ وَثَمُودَ <sup>(١)</sup> إِذْ جَاءَتْهُمْ  
الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ <sup>(٢)</sup> أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ .  
قالوا: لو شاء ربنا لَأَنزَلْنَا لَكَ مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَةً ، فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
كَافِرُونَ ﴿ <sup>(٣)</sup> .

وقال تعالى في كفار قريش :  
﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ .  
وقال الكافرون : هذا ساحر كذاب .  
أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ؟ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ <sup>(٤)</sup> ﴿ <sup>(٥)</sup> .

---

(١) أي : هلاكاً مثل هلاكهم .

(٢) أي : أرسل إليهم وإلى من قبلهم .

(٣) ١٣ و ١٤ - فصلت .

(٤) أي : عجيب .

(٥) ٤ و ٥ - ص .

وقال تعالى معزياً نبينا ﷺ :

﴿ فإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذَّبَ رَسَلٌ مِّن قَبْلِكَ ، جَاءُوا  
بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ، وَالكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴾ (١) .

وقال تعالى في مكة وتكذيب أهلها ، ومالاقوا من جرّاء  
ذلك :

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ، يَأْتِيهَا  
رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمَ اللَّهُ ، فَأَذَاقَهَا اللَّهُ  
لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ .  
وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ ، فَكَذَّبُوهُ ، فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ (٢)  
وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) - آل عمران .

(٢) وهو ما أصابهم من البلاء .

(٣) ١١٢ و ١١٣ - النحل .

## إيذاء الكافرين الرسل

من سنة الله تعالى في عباده الابتلاء والاختبار ، سواء في ذلك الرسل الكرام وغيرهم :

قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسولهم :

لنخرجنكم من أرضنا ، أو لتعودنَّ في ملّتنا .

فأوحى إليهم ربهم : لنهلكنَّ الظالمين ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وإذا رآك الذين كفروا ، إن يتخذونك

إلا هزوا :

أهذا الذي يذكر آهتكم ؟!

وهم بذكر الرحمن هم كفرون ﴿ (٢) .

وأمر الله تعالى نبيّه محمداً ﷺ أن يصبر على أذى قومه ،

كما صبر أولو العزم من قبله من الرسل فقال عز وجل :

(٢) ٣٦ - الأنبياء .

(١) ١٣ - إبراهيم .

﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، ولا تستعجل  
 لهم ﴾ (١) .

قال المفسرون : أولوا العزم من الرسل خمسة :

نوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمد عليهم الصلاة  
 والسلام .

وقد رأى رسول الله ﷺ من المشركين كثير الأذى وعظيم  
 الشدة ، خصوصاً إذا ذهب إلى الصلاة عند البيت .  
 وأعانه الله تعالى فصبر .

### صور من أذى المشركين النبي ﷺ

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال :

كنا مع رسول الله ﷺ في المسجد ، وهو يصلي ، فقال أبو  
 جهل :

ألا رجلٌ يقوم إلى فرث جَزور بني فلان ، فيلقيه على  
 محمد وهو ساجد ؟

(١) - الأحقاف .

فقام عقبة بن أبي مُعَيْط ، وجاء بذلك الفرث ، فألقاه على النبي ﷺ وهو ساجد ، فلم يقدر أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على إلقائه عنه ، لضعفهم عن مقاومة عدوهم .

ولم يزل عليه الصلاة والسلام ساجداً ، حتى جاءت فاطمة ابنته فأخذته عنه ورمته .

فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع القبيح ، فقال :

« اللهم عليك بالملأ من قريش » وسمى أقواماً .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : فرأيتهم قتلوا يوم بدر<sup>(١)</sup> .

ورحم الله القائل :

كَمْ أَسَاءَ وَهِيَ كَيْ يَكْفَى فَكَيْفَ

تَهْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ الْأَسْوَأُ !

وَاسْتَوَى مِنْهُمْ لَدَيْهِ حَفَاءٌ

وَوَفَاءٌ وَالضَّرَّ وَالسَّرَاءُ

(١) البخاري .

رَبُّ يَوْمٍ أَتَاهُ عَقْبَةٌ أَشَقَىٰ آلَ  
 قَوْمٍ يَسْعَىٰ فِي يَدَيْهِ سَلَاءٌ  
 بِخَبِيثٍ أَتَىٰ خَبِيثٍ وَهَلْ يَأْتِي  
 تِي بِغَيْرِ الْخَبَائِثِ الْخَبِيثَاءِ ؟  
 قَدْ رَمَاهُ حِينَ السُّجُودِ عَلَيْهِ  
 وَانْتَقَىٰ مِنْهُ تَضْحَكَ الْأَشْقِيَاءُ  
 فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّىٰ أَتَتْهُ  
 فَأَزَالَتْهُ بِنْتُهُ الزُّهْرَاءُ  
 لَيْتَ شِعْرِي إِذْ ذَاكَ مَامَنَعَ الْأَرَىٰ  
 رَضَ مِنَ الْخُسْفِ أَوْ تَخَرَّ السَّمَاءِ ؟  
 قَوْمٌ نُوْحٌ لَمْ يَفْعَلُوا مِثْلَ هَذَا  
 وَلَقَدْ أَغْرَقَ الْبَرِيَّةَ مَاءً  
 غَيْرَ أَنَّ الْغَرِيمَ كَانَ كَرِيمًا  
 وَحَلِيمًا فَأَخَّرَ الْاِقْتِضَاءُ

وبينما كان رسول الله ﷺ يصلي يوماً في حجر الكعبة ،  
 إذ أقبل عقبة بن أبي معيط ، فوضع ثوبه في عنق رسول الله  
 ﷺ ، فخنقه خنقاً شديداً ، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه ،

حتى أخذ بمنكبه ، ودفعه عن النبي ﷺ : وقال :  
 « أتقنون رجلاً أن يقول « ربي الله » وقد جاءكم  
 بالبينات من ربكم ؟ » (١) .

### هجرة النبي ﷺ إلى الطائف

لما رأى النبي ﷺ استهانة قريش به ، أراد أن يتوجّه إلى  
 ثقيف بالطائف - على ٩٠ كيلوا متراً من مكة المكرمة - يرجو  
 منهم نصرته على قومه ، ومساعدته حتى يبلغ شريعة ربه ،  
 لأنهم أقرب الناس إلى مكة ، وله فيهم قرابة .

فلما توجه إليهم ، ومعه مولاة زيد بن حارثة رضي الله  
 عنه ، قابل رؤساءهم وكانوا ثلاثة :

عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب ، أولاد عمرو بن عمير  
 الثقفي .

فعرض عليهم أن ينصروه ، حتى يؤدي دعوته :

(١) ٢٧ - ٢٨ - غافر ، والحديث رواه البخاري .

فردّوا عليه رداً قبيحاً ، ولم يرَ منهم خيراً .

وحيئذ طلب منهم أن لا يشيعوا ذلك عنه ، كيلا تعلم  
قريش ، فيشتد أذاهم ، لأنه استعان عليهم بأعدائهم .

فلم تفعل ثقيف مارجاه منهم رسول الله ﷺ ، بل أرسلوا  
سفهاءهم وغلماهم يقفون في وجهه في الطريق ، ويرمونهم  
بالحجارة حتى أدموا عقبه .

وكان زيد بن حارثة رضي الله عنه يدرأ عنه إلى أن  
انتهى إلى شجرة كرم ، واستظل بها ، ودعا الله تعالى هناك ،  
فقال :

اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني  
على الناس .

يا أرحم الراحمين ، أنت أرحم الراحمين ، وأنت رب  
المستضعفين ، إلى من تكلمي ؟

إلى عدوٍّ بعيد يتجهمني - أي يستقبلني بوجه عبوس  
كريبه - ؟

أم إلى صديق قريب ملكته أمري ؟

إن لم يكن بك غضبٌ عليّ فلا أبالي ، غير أن عافيتك  
أوسع لي .

أعوذ بنور وجهك الذي أضاءت له السموات ، وأشرقت له  
الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن ينزل بي  
غضبك ، أو يحلّ بي سخطك ، ولك العتبي - أي : الرضا -  
حتى ترضى .

ولا حول ولا قوة إلا بك <sup>(١)</sup> .

وفي الحديث الشريف ما خلاصته : أن الله تعالى أرسل  
ملك الجبال مع جبريل عليها السلام ، فقال ملك الجبال  
للنبي ﷺ :

إن الله قد بعثني إليك ، لتأمرني بما شئت ، فإن شئت أن  
أطبق عليهم الأخشبين - جبلي مكة - لفعلت .

فقال رسول الله ﷺ : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم

(١) الطبراني .

من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً . اللهم اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون « (١) .

ورحم الله القائل :

لو رأيت النبي من بعدُ بالطا

ئف سألت بالحصب منه الدماء

وسمعت التخيير فيهم من اللد

ه فكان اختياره الإبقاء

كنت شاهدت أعظم الخلق حملاً

وتمنيت أن يعمّ الفناء

كان يلقي عنه الحجارة زيّد

إن روعي لنعل زيّد فداء

ولما رجع النبي ﷺ من الطائف ، لم يتمكن من دخول مكة ، لما عَلِمَ كفار قريش من أنه توجّه إلى الطائف ، يستنصر بأهلها عليهم .

فأرسل إلى المطعم بن عدي وهو مشرك ، يخبره أنه

(١) البخاري ومسلم .

سيدخل مكة في جواره ، فأجابه إلى ذلك .

ولم يزل أذى المشركين في ازدياد حتى اضطر النبي ﷺ  
والمسلمون إلى الهجرة إلى المدينة .

### تكذيب الكافرين بالقرآن

قال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا : لن نؤمن بهذا القرآن  
ولا بالذي بين يديه .

ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم ، يرجع  
بعضهم إلى بعض القول .

يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : لولا أنتم لكننا  
مؤمنين ﴿ (١) .

﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ قالوا :

ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم .

وقالوا : ما هذا إلا إفك مفترى .

وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم : إن هذا إلا سحر

مبين ﴿ (٢) .

(٢) ٤٣ - سبأ .

(١) ٣١ - سبأ .

﴿ وقال الذين كفروا : لا تسمعوا لهذا القرآن ، وَالغَوَا فيه لعلكم تغلبون ﴾ (١) .

لما أعجزهم القرآن ، حاولوا أن يكثرُوا الكلام عند تلاوته ، حتى لاتظهر بلاغته ، ولا يستميل القلوب ، وهذه إحدى محاولات الضعيف المغلوب .

وقال تعالى : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ، وجعلت له مالا ممدودًا ، وبنين شهودًا ، ومهدت له تمهيدًا ، ثم يطمع أن أزيد .

كلا ، إنه كان لآياتنا عنيدًا ، سأرهقه صعودًا .  
 إنه فكّر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قُتِل كيف قدر !  
 ثم نظر ، ثم عبس وبسر ، ثم أدبر واستكبر .  
 فقال : إن هذا إلا سحرٌ يؤثر ، إن هذا إلا قولُ  
 البشر ﴾ (٢) .

نزلت هذه الآيات في الوليد بن المغيرة الخزومي ، وكان يسمى « الوحيد » في قومه .

(٢) ١١ - ٢٥ - اللدثر .

(١) ٣٦ - فصلت .

روي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ حَمَّ ، تنزيل الكتاب من  
الله العزيز العليم .

غافر الذنب وقابل التوب ، شديد العقاب ذي الطول ، لا  
إله إلا هو ، إليه المصير ﴿ (١) .

سمع الوليد النبي ﷺ يقرأها ، فقال :

والله لقد سمعت منه كلاماً ، ما هو من كلام الإنس ، ولا  
من كلام الجن ، وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة - أي :  
بهجة - وإن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق ، وإنه ليعلو ولا  
يُعلَى عليه ، وما يقول هذا بشر .

فقال قريش : صبأ الوليد - أي : خرج عن دينه -  
لتصبؤنّ قريش كلها .

وكان يقال للوليد : ريحانة قريش .

فقال أبو جهل : أنا أكفيكوه .

فمضى إليه حزينا .

فقال له : مالي أراك حزيناً ؟

فقال له : ومالي لا أحزن ، وهذه قریش ، يجمعون لك نفقة ، يعينونك بها على كبر سنك ، ويزعمون أنك زينتَ كلام محمد ، وتدخل على ابن أبي كبشة ، وابن أبي قحافة - يعنى أبا بكر - لتنال من فضل طعامها .

فغضب الوليد ، وتكبر ، وقال :

أنا أحتاج إلى كسر محمد وصاحبه ، فأنتم تعرفون قدر مالي ، واللات والعزى ما بي حاجة إلى ذلك .

وإنما أنتم تزعمون أن محمداً مجنون .

فهل رأيتوه قطّ يخنق ؟ .

قالوا : لا والله .

قال : وتزعمون أنه شاعر .

فهل رأيتوه نطق بشعر قط ؟

قالوا : لا والله .

قال : فتزعمون أن كذاب .

فهل جرّبتُم عليه كذباً قط ؟

قالوا : لا والله .

قال : فتزعمون أنه كاهن .

فهل رأيتموه تكهّن قط ؟

قالوا : لا والله .

وكان النبي ﷺ يسمى « الصادق الأمين » من كثرة صدقه  
وعِظَم أمانته .

فقال قريش للوليد : فما هو ؟

ففكّر في نفسه ، ثم عبس ، فقال : ما هو إلا ساحر !

أما رأيتموه يفرّق بين الرجل وأهله وولده ومواليه ؟!

فأنزل الله تعالى هذه الآيات في ذمه ووعيده .

وروي أن الملائكة من قريش قالوا :

قد التبس علينا أمر محمد ، فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر

والكهانة والسحر ، فكلمه ثم أتانا ببيان أمره .

فقال عتبة بن ربيعة : والله لقد سمعت الكهانة والشعر  
والسحر ، وعلمت من ذلك علماً لا يخفى إن كان كذلك .  
فقالوا ائته فحدثه .

فأتى النبي ﷺ ، فقال له :

يا محمد ! أنت خير أم قصي بن كلاب ؟

أنت خير أم هاشم ؟

أنت خير أم عبد المطلب ؟

أنت خير أم عبد الله ؟

فبِمَ تشتم أهلكنا ، وتضلّ آباءنا ، وتسفّه أعلامنا ، وتذم  
ديننا ؟

فإن كنت إنما تريد الرياسة ، عقدنا إليك ألويتنا ،  
فكنت رئيساً ما بقيت .

وإن كنت تريد الباءة - يعني النكاح - زوجناك عشر  
نساء من أي بنات قريش شئت .

وإن كنت تريد المال ، جمعنا لك ما تستغني به أنت  
وعقبك - أي أولادك - من بعدك .

وإن كان هذا الذي يأتيك رائياً من الجن ، قد غلب  
عليك ، بذلنا لك أموالنا في طلب ما تتداوى به ، أو نُغلبَ  
فيك .

والنبي ﷺ ساكت ، فلما فرغ قال :

« قد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم .

قال : فاسمع مني ؟

قال : أفعل .

فقال ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ حم ، تنزيل من  
الرحمن الرحيم .

كتاب فُصِّلَت آياته ، قرآناً عربياً لقوم يعلمون .. ﴿ .

حتى بلغ قوله تعالى : ﴿ فإن أعرضوا فقل : أنذرتكم

صاعقةً مثلَ صاعقة عاد وثمود ﴿ (١) .

أي هلاكاً كهلاكهم .

فوثب عتبة ، ووضع يده على فم النبي ﷺ ، وناشده الله والرحم لَيْسَكْتَنَ .

ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش .

فجاء أبو جهل فقال :

أصبوتَ إلى محمد ؟ أم أعجبك طعامه ؟

فغضب عتبة ، وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً .

ثم قال : والله لقد تعلمون أني من أكثر قريش مالاً ، ولكني لما قصصت عليه القصة ، أجابني بشيء ، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ، ثم تلا عليهم ماسع منه إلى قوله :

﴿ أنذرتكم صاعقة مثلَ صاعقة عاد وثمود .. ﴾ .

قال : فأمسكت بفيه ، وناشدته بالرحم أن يكفّ ، وقد

(١) ١ - ١٣ - فصلت .

علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب ، فوالله لقد خفت أن ينزل بكم العذاب !

وفي رواية : أن النبي ﷺ ، قرأ : حمّ ، فصلت ، حتى انتهى إلى السجدة فسجد ، وعتبة مُصغِرٌ يستمع ، وقد اعتمد على يديه وراء ظهره .

فلما قطع رسول الله ﷺ القراءة ، قال له :  
« يَا أَبَا الْوَلِيدِ ! لقد سمعت الذي قرأت عليك ، فأنت وذاك » .

فانصرف عتبة إلى قريش في ناديتها .

فقالوا : والله لقد جاءكم أبو الوليد ، بغير الوجه الذي مضى من عندهم .

ثم قالوا : ما وراءك يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟

قال : والله لقد سمعت كلاماً من محمد ، ما سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ، فأطيعوني في هذه ، وأنزلوها بي :

خَلَّوْا مُحَمَّدًا وَشَأْنَهُ ، وَاعْتَزَلُوهُ ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِمَا سَمِعْتَ مِنْ  
كَلَامِهِ نَبَأٌ ، فَإِنْ أَصَابَتْهُ الْعَرَبُ ، كَفَيْتُمُوهُ بِأَيْدِي غَيْرِكُمْ ، وَإِنْ  
كَانَ مَلِكًا أَوْ نَبِيًّا ، كُنْتُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِهِ ، لِأَنَّ مَلِكَهُ مَلِكُكُمْ ،  
وَشَرَفُهُ شَرَفُكُمْ .

فَقَالُوا : هِيَهَات ! سَحَرَكُ مُحَمَّدٌ يَا أَبَا الْوَلِيدِ !

قَالَ : هَذَا رَأْيِي لَكُمْ ، فَاصْنَعُوا مَا شِئْتُمْ .

### حجّة الكافر داحضة

قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ  
آتَاهُ اللَّهُ الْمَلِكَ ؟

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ .

قَالَ : أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ .

قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، فَأْتِي بِهَا  
مِنَ الْمَغْرِبِ .

فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿ ١١ ﴾ .

« لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النعَم » (١) .

وحمر النعم هي الإبل ، وهي أنفس أموال العرب .

### لا عذر للكافر

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين كفروا ، لا تعتذروا اليوم ، إنما تجزون ما كنتم تعملون ﴾ (٢) .

﴿ فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ، ولا هم يُستعتبون ﴾ (٣) .

أي : ليس حالهم حال من يُستعتب ويرجع .

ووصف الله تعالى يوم القيامة ، فقال :

﴿ هذا يوم لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ (٤) .

(١) البخاري ومسلم .

(٢) ٧ - التحريم .

(٤) ٣٥ و ٣٦ - المرسلات .

(٣) ٥٧ - الروم .

## ترغيب الكافر بالإيمان

قال الله تعالى : ﴿ قل للذين كفروا : إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف .. ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « الإسلام يَجِبُ - أي : يقطع ويهدم - ما قبله » (٢) .

وقد رَغِبَ النبي ﷺ الناس بالإيمان ، فَبَدَلَ الكثير من الغنائم للمشركين ، يتألفهم به على الإيمان .

أعطى أحداً غنماً بين جبلين ، فرجع إلى قومه ، وقال : يا قوم ! أسلموا ، فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر .

وأعطى كثيرين منهم من الإبل مئة ، مئة . فأسلموا وعرفوا في السيرة بأصحاب المئين .

وأرسل علياً كرم الله تعالى وجهه إلى اليمن وقال له :

(١) - ٢٨ - الأنفال

(٢) البخاري ومسلم .

وفي الحديث القدسي : « يا عبادي ! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني .

يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، مازاد ذلك في ملكي شيئاً .

يا عبادي ! لو أن أولكم وآخركم ، وإنسكم وجنكم ، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكي شيئاً .. (١) .

إلى أن قال تبارك وتعالى :

يا عبادي ! إنما هي أعمالكم ، أحصيها لكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

### مجانبة الكفر حَيطة

قال الله تعالى مبيناً الخطر العظيم على من كفر بالله وكذّب بالقرآن :

(١) مسلم .

فيوم القيامة له مواطن ومواقيت ، ولكل منها أحوال خاصة ، وهذا من المواقيت التي لا يتكلم فيها الكافرون ، ولا يؤذن لهم في الاعتذار والتنصل .

### شر الكفر يعود على صاحبه

قال الله تعالى : ﴿ من كفر فعليه كفره ﴾ أي : جزاؤه وعقوبته ﴿ ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهّدون ﴾ <sup>(١)</sup> .

﴿ إن تكفروا فإن الله غني عنكم .. ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً ، فإن الله لغنيّ حميد ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العالمين ﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿ إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئاً ، ولهم عذاب أليم ﴾ <sup>(٥)</sup> .

(٢) ٧ - الزمر .  
(٤) ٩٧ - آل عمران .

(١) ٤٤ - الروم .  
(٣) ٨ - إبراهيم .  
(٥) ١٧٧ - آل عمران .

## الكافر في ضلال

قال الله تعالى : ﴿ ومن يتبدّل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل ﴾ (١) .

﴿ ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فقد ضل ضلالاً بعيداً ﴾ (٢) .

وأَيُّ ضلال أدهى من ضلال من ضل عن حقائق ثابتة في هذا الوجود ، من وجود الإله تبارك وتعالى ، ولقاء الله عز وجل في الآخرة ؟

إنه ضلال يؤدي بصاحبه إلى شقاء الدنيا والآخرة ، وإلى الخلود في العذاب الأليم .

## الكافر ممقوت

قال الله تعالى : ﴿ قل : أطيعوا الله والرسول ، فإن تولّوا فإن الله لا يحب الكافرين ﴾ (٣) .

(٢) ١٣٦ - النساء .

(١) ١٠٨ - البقرة .

(٣) ٣٢ - آل عمران .

﴿ قل : أرأيتم إن كان من عند الله ، ثم كفرتم به ، من أضل ممن هو في شقاق بعيد ؟ ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً ﴾ (٢) .

ففي الإيمان ضمان النجاة من العذاب ، وفي الكفر شر محقق عند من آمن ، فينبغي للعاقل أن يحتاط لنفسه بالإيمان المنجي من العذاب .

وعن هذا عبّر القائل :

زعم المنجم والطبيب كلاهما :

لا تحشر الأجساد ، قلتُ : إليكما

إن صح قولكما فلبستُ بخاسرٍ

أو صحّ قولِي ، فالحسار عليكما

(٢) ١٧ - المزمل .

(١) ٥٢ - فصلت .

وفي الحديث الشريف : « ... وإذا أبغض الله عبداً دعا جبريل ، فيقول :

إني أبغض فلاناً فأبغضه .

فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء :

إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه .

ثم توضع له البغضاء في الأرض » (١) .

فالكافر ممقوت عند الله في الدنيا والآخرة ، وممقوت عند الناس .

### شطط الكافر وعناده

قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ : قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ ، وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ ، لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ، جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ، فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ، وَقَالُوا : إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ ، وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٢) .

(٢) ٩ - إبراهيم .

(١) مسلم .

﴿ والله لا يجب كل كفار أثيم ﴾ (١) .

﴿ إن الذين كفروا ينادون : لمقتُ الله أكبر من مقتكم  
أنفسكم ، إذ تُدعون إلى الإيمان فتكفرون ﴾ (٢) .

يمقت الكافر نفسه يوم القيامة أشد المقت حين يصير إلى  
عذاب .

فتقول الملائكة للكافرين وهم في النار : لمقتُ الله إياكم إذ  
أنتم في الدنيا ، وقد بعث إليكم الرسل فلم تؤمنوا أشد من مقتكم  
أنفسكم اليوم .

والمقت : أشد البغض .

فالكافر يمقت نفسه لأنها سولت له اتباع الباطل في  
الدنيا ، فأعماه هواها عن الإيمان ، الذي هو سبب النجاة .

وقال تعالى : ﴿ ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا  
مقتاً .. ﴾ (٣) .

(٢) ١٠ - غافر .

(١) ٢٧٦ - البقرة .

(٣) ٢٩ - فاطر .

والعجب ، فلفتها إلى قدرته العظيمة الباهرة :

﴿ إذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه  
اسمه المسيح عيسى ابن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ،  
ومن المقربين .

ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين .

قالت : ربّ أنى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر ؟

قال : كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول  
له كن فيكون ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث  
ثلاثة .

وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ،  
ليمننّ الذين كفروا منهم عذاب أليم .

أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه ، والله غفور رحيم ؟  
ما المسيح ابن مريم إلا رسول ، قد خلت من قبله  
الرسل ، وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين

(١) ٤٥ - ٤٧ - المائة .

وقال تعالى فيهم : ﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حليتهم عجباً جسداً له خوار ، ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ؟ اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم .

قل : فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ؟  
والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ،  
والله على كل شيء قدير ﴾ (٢) .

نفى الله تعالى وصف الألوهية عن عيسى وأمه عليهما الصلاة والسلام ، وصرح أنها عبدان من عباد الله ، وله أن يتصرف بها ، وبجميع مخلوقاته بما يشاء ، والمتصرفُ إله قادر ، والمتصرفُ به مخلوق ضعيف .

وقد خلق الله تعالى عيسى ابن مريم من غير أب ، وبشرها به من قبل أن تحمل به ، وكان منها الدهش

(١) - الأعراف .

(٢) - المائدة .

بلداً ، ولا أقل ماء ، ولا أشد عيشاً منا ، فسل لنا ربك ،  
الذي بعثك بما بعثك به ، فليسير عنا هذه الجبال ، التي قد  
ضيقت علينا ، وليبسط لنا بلادنا ، وليخرق لنا فيها أنهاراً  
كأنهار الشام ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا ، وليكن فيمن  
يبعث لنا قصى بن كلاب ، فإنه كان شيخ صدق ، فنسأله عما  
تقول : أحق هو أم باطل ؟

فإن صدقوك ، وصنعت ما سألتناك ، صدقناك ، وعرفنا  
به منزلتك من الله تعالى ، وأنه بعثك رسولاً كما تقول .

فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه : ما بهذا بعثت إليكم ،  
إنما جئتم من الله تعالى بما بعثني به ، وقد بلغتكم ما أرسلت به  
إليكم ، فإن تقبلوه ، فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن  
تردوه عليّ ، أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله بيني وبينكم .

قالوا : فإذا لم تفعل هذا لنا ، فخذ لنفسك !

سل ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ،  
ويراجعنا عنك .

واسأله أن يجعل لك جناناً وقصوراً ، وكنوزاً من ذهب

وإن كنت إنما تطلب به الشرف فينا ، فنحن نسودك  
علينا .

وإن كنت تريد به ملكاً ، ملكناك علينا .

وإن كان هذا الذي يأتيك رؤياً - أي تابعاً من الجن -  
تراه قد غلب عليك ، فربما كان ذلك ، بذلنا أموالنا في طلب  
الطب لك ، حتى نُبرئك منه ، أو نُعذر فيك .

فقال لهم رسول الله ﷺ : « ما بي ما تقولون ، ما جئت  
بما جئت به ، أطلب أموالكم ، ولا الشرف فيكم ، ولا الملك  
عليكم .

ولكن الله بعثني إليكم رسولاً ، وأنزل عليّ كتاباً ، وأمرني  
أن أكون لكم بشيراً ونذيراً ، فبلغتكم رسالات ربي ، ونصحت  
لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم به ، فهو حظكم في الدنيا  
والآخرة ، وإن تردوه عليّ ، أصبر لأمر الله ، حتى يحكم الله  
بيني وبينكم .

قالوا : يا محمد ! فإن كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه  
عليك ، فإنك قد علمت أنه ليس من الناس أحد ، أضيّق

وقد نفى الله تعالى عن عيسى عليه السلام وصف  
الألوهيه ، فقال :

﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله  
الرسل .. ﴾ (١) .

وقال : ﴿ إن هو إلا عبد أنعمنا عليه ، وجعلناه مثلاً  
لبني إسرائيل ﴾ (٢) .

### الكذب على الله كفر

قال الله تعالى : ﴿ وقالت اليهود والنصارى : نحن أبناء  
الله وأحباءه .

قل : فلم يعذبكم بذنوبكم ؟ بل أنتم بشر من خلق ، يغفر  
لمن يشاء ، ويعذب من يشاء ﴾ (٣) .

خوف رسول الله ﷺ قوماً من اليهود عقاب الله عز  
وجل .

(٢) - الزخرف . ٥٩

(١) - المائدة . ٧٥

(٣) - المائدة . ١٨

واعتقاد أن عيسى عليه السلام لا أب له واجب .

وقد كرّر الله تعالى اسمه منسوباً إلى أمه ، في كثير من آيات القرآن الكريم ، لتستشعر القلوب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الأب عنه ، ولينزه أمه الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهم الله .

فيعسى عليه السلام رسول الله وكلمته : أي كونه بكلمة « كن » فكان بشراً من غير أب .

وقال تعالى فيه : ﴿ وروح منه ﴾ وهذا الذي أوقع النصارى في الضلال .

فقالوا : « عيسى جزء منه » جهلوا وضلوا .

والحق أن هذه الإضافة للتفضيل ، وإن كانت جميع الأرواح من خلقه .

وهذا كقوله تعالى : ﴿ وطهر بيتي للطائفين .. ﴾ (١) .

فالله تعالى منزّه عن الولد ، كما هو منزّه عن البيت .

---

(١) - الحج .

أو يكون يكون لك بيت من زُخرف<sup>(١)</sup> أو ترقى في السماء ،  
 ولن نُؤمن لك لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه .  
 قل : سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً ؟ ﴿٢﴾ .

قال بعض الملحدين : ليس هذا جواباً مقنعاً !

وغلطوا ، لأنه أجابهم فقال :

إنما أنا بشر ، لأقدر على شيء مما سألتوني ، وليس لي أن  
 أتخير على ربي ، ولم تكن الرسل قبلي يأتون أمهم بكل ما  
 يريدونه ويبغونه ، وسبيلي سبيلهم ، وكانوا يقتضرون على ما  
 آتاهم الله تعالى من آياته الدالة على صحة نبوتهم ، فإذا أقاموا  
 عليهم الحجة ، لم يجب لقومهم أن يقترحوا غيرها ، ولو وجب  
 على الله أن يأتيتهم بكل ما يقترحونه من الآيات ، لوجب  
 عليه أن يأتيتهم بمن يختارونه من الرسل ، ولوجب لكل إنسان  
 أن يقول :

لا أؤمن حتى أوتي بآية خلاف ما طلب غيري .

(١) أي : ذهب .

(٢) ٩٠ - ٩٣ - الإسراء .

ثم سألوك أن تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب ،  
فلم تفعل !

فوالله لا أومن بك أبداً ، حتى تتخذ إلى السماء سلباً ، ثم  
ترقى فيه ، وأنا أنظر ، حتى تأتيها ، ثم تأتي معك بصكّ معه  
أربعة من الملائكة ، يشهدون لك أنك كما تقول .

وأيّ الله لو فعلت ذلك ما ظننت أني أصدقك !

ثم انصرف ، وانصرف رسول الله ﷺ إلى أهله حزيناً  
أسفاً ، لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه ، حين دعوه ، ولما  
رأى من مباحدهم إياه .

فأنزل الله تعالى : ﴿ وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفجرَ  
لنا من الأرض ينبوعاً .

أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجرَ الأنهار  
خلالها تفجيراً .

أو تُسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً ، أو تأتي بالله  
والملائكة قبيلاً .

قالوا : نعم .

فدعا رجلاً من علمائهم ، فقال : أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، أهكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم ؟

قال : لا - ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك - نجده الرجم ، ولكنه كثر في أشرافنا ، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه ، وإذا أخذنا الضعيف أقننا عليه الحد .

قلنا : تعالوا نجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم .

فقال رسول الله ﷺ : اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه .

فأمر به فرجم ، فأنزل الله تعالى هذه الآية <sup>(١)</sup> .

وقال تعالى فاضحاً تلاعب المشركين في دين الله ، وكذبهم على الله :

---

(١) مسلم .

نزلت هذه الآية في يهوديين زنيا ، فجلدا .

فقال النبي ﷺ : « ائتوني بأعلم رجلين منكم .

فجاءوه ، فنشدهما الله تعالى : كيف تجدان أمر هذين في التوراة ؟

قالا : نجد في التوراة إذا شهد أربعة أنهم رأوا ذكره في فرجها كالمرود في المكحلة ، رجما .

قال : فما يمنعكما أن ترجوهما ؟

قالا : ذهب سلطاننا فكرهنا القتل .

فدعا النبي ﷺ بالشهود ، فجاءوا فشهدوا ..

فأمر النبي ﷺ فرجها « (١) .

ومرَّ على النبي ﷺ بيهودي مُحَمَّمًا - أي طلي وجهه بالفحم - مجلوداً ، فدعاهم فقال :

هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم ؟

---

(١) البخاري ومسلم .

فطلبوا منه أن يُخرج لهم من صخرة صماء عَيْنُوهَا بأنفسهم  
ناقةً مُخَضَّةً .

فأخذ عليهم صالح العهد والميثاق ، لئن أجابهم الله تعالى  
إلى سؤالهم : ليؤمننَّ به وليتَّبَعْنَهُ .

فلما أعطوه عهدهم وميثاقهم ، دعا صالح ربه ، فتحرَّك  
الصخرة ، وانصدعت عن ناقة يتحرك جنبها بين جنبها كما  
سألوه .

وقال لهم :

﴿ هذه ناقة الله لكم آيةٌ <sup>(١)</sup> فذروها تأكلُ في أرض الله ،  
ولا تمسوها بسوءٍ فيأخذكم عذاب أليمٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ فعقروا الناقة <sup>(٣)</sup> وعتوا عن أمر ربهم وقالوا :

يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين .

فأخذتهم الرجفة <sup>(٤)</sup> فأصبحوا في دارهم جاثمين <sup>(٥)</sup> .

فتولى عنهم ، وقال : يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ،

(١) أي : معجزة دالة على صدقي . (٢) ٧٣ - الأعراف .

(٣) أي : قتلوها . (٤) أي : الزلزلة الشديدة .

(٥) أي : باركين على الركب من الهول والفرع

﴿ وإذ قالوا : اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ (١) .

قالوا ذلك على وجه العناد ، وإيهام الناس أنهم على بصيرة ، ثم حلَّ بهم يوم بدر ما سألوا .

قالوا هذا ، ولم يقولوا : إن كان هذا هو الحق من عندك ، فاهدنا إليه ، وشرح صدورنا له .

ولكنه العناد الذي أدى بهم إلى الهلاك .

### التكذيب بالمعجزات

ومن شطط الكافر وعناده تكذيبه بالمعجزات ، ومن ذلك :

#### ١ - ناقة صالح عليه الصلاة والسلام :

لما دعاهم إلى الإيمان بالله تعالى ، كذبوه وأرادوا أن يظهروا عجزه ، فطلبوا منه أن يأتيهم بآية ، يتبينون بها صدقه في دعوته .

(١) - الأنفال .

## الكذب في الرؤى

ومن الكذب على الله تعالى ، الكذب في الرؤى المنامية ، وهو من الكبائر .

لأن الرؤى المنامية وحي من الله تعالى .

ففي الحديث الشريف : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » <sup>(١)</sup> .

« الرؤيا الصالحة من الله » <sup>(٢)</sup> .

فمن ادّعاها كاذباً ، كان كاذباً على الله عز وجل .

وفي الحديث الشريف : « من تحلّم بحلم لم يره ، كلف أن يعقد بين شعيرتين ، ولن يفعل » <sup>(٣)</sup> أي لن يستطيع ذلك .

وفي حديث آخر : « إن من أفرى الفِرَى - أي من أكذب الكذب - أن يرى عينيه مالم ترّه » <sup>(٤)</sup> .

(٢) البخاري ومسلم .

(١) البخاري ومسلم .

(٤) البخاري .

(٣) البخاري وأبو داود والترمذي .

الله الكذب ، وأكثرهم لا يعقلون ﴿ (١) .

ثم قال تعالى : ﴿ وقالوا : ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ، ومحرمّ على أزواجنا ، وإن يكن مَيْتَةً فهم فيه شركاء .

سيجزئهم وصفهم ، إنه حكيم عليم ﴿ (٢) .

وهذا نوع آخر من جهلهم وكذبهم على الله عز وجل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما : هو اللبن جعلوه حلالاً للذكور ، وحراماً على الإناث .

وإن يكن ما في بطون الأنعام من الأجنّة مَيْتَةً ، فالرجال والنساء فيه شركاء .

﴿ سيجزئهم وصفهم ﴿ أي كذبهم وافتراءهم ، فيعذبهم على ذلك .

(٢) ١٣٩ - الأنعام .

(١) ١٠٣ - المائدة .

أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ،  
فيكون طيراً ياذن الله .

وأبرىء الأكمه <sup>(١)</sup> والأبرص وأحيي الموتى ياذن الله .  
وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم .  
إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴿ <sup>(٢)</sup> .

لاشك أن هذه أمور ، لا يستطيع أحد أن يعالجها ، ولا  
يقدر بشر أن يأتي بها إلا بتأييد من الله ، ولكنهم مع قيام  
حجته ، ووضوح آيته ، تمادوا في طغيانهم ، وثبتوا على  
ضلالهم ، وقال الذين كفروا منهم : ﴿ إن هذا إلا سحر  
مبين ﴾ ﴿ وما آمن معه إلا قليل ﴾ .

٥ - من معجزات نبينا محمد ﷺ :

ونبينا محمد ﷺ أكثر الرسل الكرام معجزات :

وأجلها على الإطلاق : القرآن الكريم ، الذي عجز العرب  
- وهم الفصحاء البلغاء - عن معارضته .

(١) الذي يولد أعمى .

(٢) ٤٩ - آل عمران .

قلنا : لا تخف إنك أنت الأعلى .

وألقِ ما في يمينك تلقف ما صنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ، ولا يُفلح الساحر حيث أتى .

فألقي السحرة سجداً قالوا : آمنا برب هارون وموسى .

قال : آمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنه لكبيركم الذي علمكم السحر ، فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ، ولأصلبنكم في جذوع النخل ، ولتعلمنَّ أيُّنا أشدُّ عذاباً وأبقى ﴿١﴾ .

غلتُ مراجل كالحقد في صدر فرعون ، لهذه المفاجأة العجيبة ، وبقي على عناده وكفره ، حتى كانت عاقبته الغرق والذلة والهوان .

٤ - من معجزات عيسى عليه السلام :

ودعا عيسى عليه الصلاة والسلام قومه إلى الإيمان بالله تعالى ، وأظهر الله تعالى على يديه معجزات باهرات .

قال الله تعالى فيه : ﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل ، إني قد جئتكم بأية من ربكم :

(١) ٦٥ - ٧١ - طه .

قال : فأنا أستحي أن أسأل الله كشف البلاء قبل أن أقضي فيه ما قضيت في النعيم .

وحلف لئن شفاه الله ليضربنها مئة سوط .

فلما شفاه الله تعالى ، ولم تكن زوجته - وهي المرأة الصالحة - تستوجب هذه العقوبة ، أمره الله تعالى أن يأخذ بيده ضِعْفاً - أي قبضة من حشيش فيها الرطب واليابس ، وفيها قدر مئة عود فيضربها به .

وهذه حيلة كريمة في تخليص هذه المرأة الصالحة من الضرب الكثير ، على أن يَبْرَأَ أيوب عليه السلام في قسمه ، ولا يحنث .

٣ - وروي أنه اشتكى رجل من أنصار - أي مرض - حتى أضنى ، فعاد جلدة على عظم ، فدخلت عليه جارية لبعضهم ، فهشَّ لها ، فوقع عليها .

فلما دخل عليه رجال من قومه يعودونه ، أخبرهم بذلك ،

وقال :

استفتوا لي رسول الله ﷺ ، فإني قد وقعت على جارية دخلت عليّ .

مفسدة ظاهرة .

٢ - وقال تعالى في أيوب عليه السلام وامرأته :

﴿ وَخَذَ يَمِينُكَ ضِعْفًا فَأَضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ .. ﴾ (١) .

وذلك أن أيوب عليه السلام مسّه الضّرّ ، وطال به السقم ، وصبرت زوجته على البلاء ، وأقامت على خدمته ومواساته سنين ، فقالت له يوماً :

ياأيوب ! ادعُ الله تعالى أن يكشف عنك الضّرّ .

فغضب لأنه كان يؤثر الصبر والرضا ، على ماقدّر الله تعالى وقضى .

فقال لها : كم قضينا في النعيم ؟

قالت : ثمانين سنة .

وكم قضينا في البلاء ؟

قالت : سبع سنين .

وقال تعالى : ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ، وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴾ (١) .

فالكافر يسخر من المؤمن ، وذلك لحقه وجهله ، وهو الذي يستحق أن يُسَخَّرَ منه ، ولا تضر المؤمن سخريته شيئاً .

### الكافر لا ينفعه عمل

والكافر لا ينفعه عمل صالح في الآخرة ، فإذا عمل صالحاً في الدنيا ، كإغاثة ملهوف ، وإغاثة مريض ، أو تصدق على فقير .. فإن الله تعالى يعجل له ثواب عمله هذا في الدنيا ، فيعطيه الغنى مثلاً ، أو يعافيه من بعض آلام الدنيا وهمومها ، ويمنحه الرفاه فيها ، فيتمتع الكافر بعمله في الدنيا ، وليس له في الآخرة من نصيب .

قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم ، فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً ﴾ (٢) .

(٢) - ١٠٥ - الكهف .

(١) - ٢١٢ - البقرة .

وإذا رأوهم قالوا : إن هؤلاء لضالون .  
 وما أرسلوا عليهم حافظين .  
 فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون .  
 على الأرائك ينظرون .  
 هل تُؤب (١) الكفار ما كانوا يفعلون ﴿ (٢) .

وقال تعالى معزياً نبينا ﷺ :

﴿ ولقد استهزئء برسلك من قبلك ، فحاق بالذين  
 سخروا منهم ماكانوا به يستهزئون ﴾ (٣) .

وقال تعالى في المنافقين :

﴿ الذين يلمزون (٤) المطّوعين من المؤمنين في الصدقات ،  
 والذين لا يجدون إلا جهدهم ، فيسخرون منهم ، سخر الله  
 منهم ، ولهم عذاب أليم ﴾ (٥) .

(١) أي : هل جوزي .

(٢) ٢٩ - ٣٦ - المطففين .

(٣) ١٠ - الأنعام .

(٤) أي : يعيبون .

(٥) ٧٩ - التوبة .

أمناً على نفسه وماله .. وبهذا تتحقق سعادة المجتمع .

ففي الحديث الشريف : « إقامة حدّ بأرض ، خير لأهلها  
من مطر أربعين صباحاً » <sup>(١)</sup>

وليتمهم إذ حكموا بغير ما أنزل الله ، استطاعوا أن يقمعوا  
الجرائم ، ويؤدّبوا المجرمين . لكنهم على العكس من ذلك ،  
فسحوا المجال للإجرام ، وجرّءوا الأنام على المعاصي والآثام .

الله تعالى أعلم بعباده ، فشرع لهم ما يصلحهم :

﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير !؟ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

### الكفر بالجزء كفر بالكل

قال الله تعالى مندداً على اليهود : ﴿ وإذ أخذنا ميثاقكم :  
لا تسفكون دماءكم ، ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ، ثم  
أقررتم وأنتم تشهدون .

ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ، وتخرجون فريقاً منكم  
من ديارهم ، تظاهرون <sup>(٣)</sup> عليهم بالإثم والعُدوان ، وإن

(٢) ١٤ - الملك .

(١) ابن ماجه .

(٣) أي تتعاونون .

من الربا ، إذ يبقى له في ذمة الآخر عشر ليرات يطالبه بها ويؤدّيها الآخر إليه .

وقيل لهذا البيع ، عينة ، لأن مشتري السلعة إلى أجل ، يأخذ ثمنها عيناً ، أي تقدماً حاضراً .

وفي ذلك إبطال لحكمة التشريع في تحريم الربا ، الذي يُثقل كاهل الفقير في وفاء ما عليه ، والإسلام دين الرأفة والرحمة والجلود والإحسان ، وإغاثة اللهفان .

### الحكم بغير ما أنزل الله كفر

قال الله تعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فأولئك هم الكافرون ﴾ (١) .

ومن ذلك تعطيل الحدود الإسلامية ، وإبدالها بقوانين جزائية أخرى .

فالله تعالى شرع الحدود وهي عقوبات زاجرة ، لتجتث الجرائم من جذورها وتطهر المجتمع من التعدي ، فيعيش الفرد

(١) ٤٤ - المائدة .

وقال تعالى : ﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١) .

﴿ أولئك لم يؤمنوا ، فأحبط الله أعمالهم .. ﴾ (٢) .

﴿ إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله ، وشاقّوا الرسول (٣) من بعد ما تبين لهم الهدى ، لن يضروا الله شيئاً ، وسيحبط أعمالهم ﴾ (٤) .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

يارسول الله ! ابنُ جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ، ويطعم المسكين ، فهل ذاك نافعه ؟

قال : « لاينفعه ، إنه لم يقل يوماً :

« رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين » (٥) .

فما كان يفعله ابن جدعان في الجاهلية من الصلة والإطعام

(٢) ١٩ - الأحزاب .

(٤) ٣٢ - محمد .

(١) ٥ - المائدة .

(٣) أي : عادّوه وخالفوه .

(٥) مسلم .

فعمل الكافر في الآخرة كالسراب ، فإذا عوّل الكافرون على ثواب أعمالهم ، قدموا على الله تعالى ، فوجدوا ثواب أعمالهم مُحِبَطاً بالكفر ، فلا يجدون من ذلك ثواباً ، كما لا يجد صاحب السراب ماء .

### ٥ - وشبهه عمله بالظلمات :

قال تعالى : ﴿ أَوْ كظلمات في بحرٍ جَنِيٍّ <sup>(١)</sup> يَفْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ، مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ، ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

والمراد بالظلمات المذكورة في الآية الكريمة : ظلمة السحاب ، وظلمة الموج ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر .

فمن كان في هذه الظلمات لا يبصر شيئاً .

وقال تعالى في المنافقين : ﴿ وَمَا مِنْهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنْهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .. ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(٢) ٤٠ - النور .

(١) أي : لا يدرك قعره

(٣) ٥٤ - التوبة .

رسول مبشّر به .

فالإيمان كلّ لا يتجزأ ، وليس بمؤمن من آمن بالله ، ولم يؤمن بملائكته .

ولا من آمن بملائكته ، ولم يؤمن برسله وكتبه .

ولا من آمن بكل هذا ، ولم يؤمن باليوم الآخر .

ولا من آمن ببعض ، وكفر ببعض .

ومن أنكر آية من كتاب الله كفر .

أو أنكر فرضية الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحج كفر .

أو أنكر شيئاً مما حرّم الله تعالى ، كقتل النفس بغيرالحق ،  
والباطل ، والزنى ، والخمر ، والميسر ، وأكل أموال الناس  
بالباطل ، وتبرج النساء وسفورهن .. كفر .

ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون « نؤمن ببعض ونكفر ببعض » ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً .

أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴿ (١) .

وإنما كان التفريق في الإيمان بين الله ورسله كفرأ ، لأن الله سبحانه فرض على الناس أن يعبدوه بما شرع لهم على أسنة الرسل ، فإذا جحدوا الرسل ، ردّوا عليهم شرائعهم ، ولم يقبلوها منهم ، فكانوا ممتنعين من التزام العبودية التي أمروا بالتزامها ، فكان كجحد الخالق سبحانه ، وجحد الخالق كفر ، لما فيه من ترك الطاعة والعبودية له .

وكذلك التفريق بين رسله في الإيمان بهم كفر .

فاليهود آمنوا بموسى وكفروا بعبس وحمد عليهم الصلاة والسلام .

وكفرهم برسوله كفرّ به سبحانه وتعالى ، وكفرّ بكل

(١) ١٥٠ و ١٥١ - النساء .

الله ﴿ (١) .

وقال في الرّين :

﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ (٢) .

وقال في المرض :

﴿ في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً .. ﴾ (٣) .

وقال في الضيق :

﴿ ومن يُرد أن يُضلَّهُ يجعل صدره ضيقاً حَرَجاً .. ﴾ (٤) .

وقال في الطبع :

﴿ فطَّبَع على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴾ (٥) .

﴿ بل طبع الله عليها بكفرهم .. ﴾ (٦) .

(٢) ١٤ - المطففين .

(٤) ١٢٥ - الأنعام .

(٦) ١٥٥ - النساء .

(١) ٣٦ - الأنعام .

(٣) ١٠ - البقرة .

(٥) ٢ - المنافقون .

﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية .. ﴾ (١) .

وقال في الانصراف :

﴿ ثم انصرفوا ، صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ (٢) .

وقال في القسوة :

﴿ ثم قست قلوبكم من بعد ذلك ، فهي كالحجارة أو أشد قسوة .. ﴾ (٣) .

﴿ فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله .. ﴾ (٤) .

وقال في الموت :

﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه .. ﴾ (٥) .

﴿ إنما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى بيعتهم

(٢) ١٢٧ - التوبة .

(٤) ٢٢ - الزمر .

(١) ٢٦ - الفتح .

(٣) ٧٤ - البقرة .

(٥) ١٢٢ - الأنعام .

إليها ما جاء في قوله تعالى :

﴿ أو لم يرَ الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً <sup>(١)</sup> ففتقناها ، وجعلنا من الماء كل شيء حي ؟ أفلا يؤمنون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ كيف تكفرون بالله ، وكنتم أمواتاً <sup>(٣)</sup> فأحياكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم ، ثم إليه ترجعون ﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿ أفلم يسيروا في الأرض ، فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها ، أو آذانٌ يسمعون بها ؟ فإنها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ <sup>(٥)</sup> .

نعمى الأبصار ، يحرم صاحبه رؤية المرئيات المحسوسة .

وعى القلوب ، يحرم صاحبه العظة والاعتبار والهدى .

﴿ أولئك الذين لعنهم الله ، فأصمهم وأعمى

(٢) ٣٠ - الأنبياء .

(٤) ٢٨ - البقرة .

(١) أي : قطعة ملتئمة .

(٣) أي : عندما .

(٥) ٤٦ - الحج .

بين فرثٍ (١) ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴿ (٢) .

أي لذيذاً هيناً لا يفصّ به من شربه .

نُبّه الله تعالى على عظيم قدرته بخروج اللبن اللذيذ ،  
خالصاً بين الأقدار والدم ، وكل ذلك كريبه تعافه النفس .

وهذا اللبن مكوّن من عناصر ، لو أعطيت عناصره إلى أعلم  
العلماء ، وأكمل المخابر ، وكلفوا أن يصنعوا منها ذرة من  
اللبن ، لوقفوا حيارى عاجزين ، في الوقت الذي تقوم فيه  
بهذه الوظيفة خلية الثدي ، التي لا تُرى بالعين المجردة ، والتي  
لا تزيد عن كونها خلية صغيرة مكوّنة من لحم ودم .

﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو  
شاهد ﴾ (٣) .

﴿ ويريكم آياته فأبى آيات الله تنكرون ﴾ (٤) .

ومن الآيات التي عمي عنها الكافرون ، ولفتهم الله تعالى

(٢) ٦٦ - النحل .

(٤) ٨١ - غافر .

(١) أي : زبل .

(٣) ٣٧ - ق .

والآخرة عند ربك للمتقين ﴿ (١) .

أي لو فعل الله ذلك لكان فتنة للمؤمنين ، إذ قد يُغريهم ذلك بالكفر ، فيكفرون ليمتعوا بما يتمتع به الكافرون .

قال الحسن رضي الله عنه : والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها ، وما فعل الله تعالى ذلك ، فكيف لو فعل ؟

وقال تعالى : ﴿ أفأريت إن متعنهم سنين .

ثم جاءهم ما كانوا يوعدون .

ما أغنى عنهم ما كانوا يُمتعون ﴿ (٢) .

وقد وصف الله تعالى مشهداً من مشاهد يوم القيامة ،

يؤبّخ فيه المؤمنون الكافرين ، يقول المؤمنون للمنافقين :

﴿ ولكنكم فتنتم أنفسكم ، وتربصتم واربتتم ، وغرتكم

الأماني حتى جاء أمر الله ، وغرّم بالله الغرور ﴿ (٣) (٤) .

وقال تعالى لنبينا محمد ﷺ :

(٢) ٢٠٥ - ٢٠٧ - الشعراء .

(٤) ١٤ - الحديد .

(١) ٣٣ - ٣٥ - الزخرف .

(٣) وهو الشيطان .

والمُتاع : ما يعجّل الانتفاع به .

وسماه قليلاً لأنه فاني ، وكل فاني قليل وإن كثر .

قال تعالى : ﴿ قل : متاع الدنيا قليل .. ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم - يعني البحر - فليُنظر بَم يرجع ؟ » (٢) .

أي : يرجع بشيء حقير .

وقال تعالى : ﴿ إن الكافرون إلا في غرورٍ ﴾ (٣) .

وقال عز وجل : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة (٤) لجعلنا لمن يكفر بالرحمن ، لبيوتهم سقفاً من فضة ، ومعارج (٥) عليها يظهرون .

ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون .

وزخرفاً ، وإن كل ذلك لما (٦) متاع الحياة الدنيا ،

(٢) الترمذي .

(١) ٧٧ - النساء .

(٤) أي : في الكفر .

(٣) ٢٠ - الملك .

(٦) أي : إلا .

(٥) أي : مصاعد .

وقال بعضهم :

فلو كانت الدنيا جزاءً لمحسنٍ  
إذن لم يكن فيها معاشٌ لظالمٍ  
لقد جاع فيها الأنبياء كرامةً  
وقد شبت فيها بطون البهائم

### استدراج الكافر

الاستدراج : هو ترك المعالجة ، والأخذ بالتدريج .

قال الله تعالى : ﴿ فذرني ومن يكذب بهذا الحديث ،  
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملي لهم <sup>(١)</sup> إن كيدي  
متين ﴾ <sup>(٢)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم  
أبواب كل شيء ، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة ،  
فإذا هم مبلسون ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) أي : أمهلهم .

(٢) ٤٤ و ٤٥ - القلم .

(٣) ٤٤ - الأنعام .

﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِباً وَهَوًى ، وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا .. ﴾ (١) .

وفي ذلك تهديد لهم ووعد .

وفي الحديث الشريف : « يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً - أَي : يُغَمَسُ فِيهَا غَمْسَةً - ثُمَّ يُقَالُ :

يَابْنَ آدَمَ ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟

فيقول : لا والله يارب !

ويؤتى بأشد الناس بؤساً - أي : شدة - في الدنيا من أهل الجنة ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ ، فيقال له :

يَابْنَ آدَمَ ! هَلْ رَأَيْتَ بؤساً قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟

فيقول : لا والله ، ما مرّ بي بؤس قط ، ولا رأيت شدة قط » (٢) .

(١) ٧٠ - الأنعام .

(٢) مسلم .

ولا يفوتنا هنا أن نقول :

إن هذه العلوم الكونية هي من الفروض التي قَصْرَ فيها  
المسلمون ، لأن الله تعالى يقول :

﴿ وَأَعَدَّوْا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ .. ﴾ (١) .

وهذه العلوم هي من القوة ولا شك ، ولا يتسنى للمسلمين  
أن يَرْهبوا أعداءهم ، إلا إذا نافسوا في هذه العلوم وسابقوهم .

وسبيل ذلك العلم الصحيح والتشجيع عليه ، مع قيامه على  
أساس من الإيمان واليقين وتقوى الله عز وجل .

ومما يدلّ دلالة واضحة عجيبة ، أن ما وصل إليه الكافر  
من هذه العلوم استدراج كفره بالله تعالى ، وعماء عن  
الإيمان ، والدين الصحيح .

---

(١) ٦٠ - الأنفال .

أي : باهتون حزينون آيسون من الخير ، لا يُحيرون  
جواباً لشدة منازلهم من سوء الحال .

ومن الاستدراج بالكافرين في هذه العصور ، مافتح الله  
تعالى به عليهم من العلوم الدنيوية والمخترعات ، ومن ذلك :  
وصولهم إلى القمر ، ومحاولتهم الوصول إلى الكواكب  
الأخرى .

فقد شغلهم ذلك عن الله تعالى والإيمان به ، وداخلهم  
الغرور بأنفسهم ، حتى ظنوا أنهم قادرون على كل شيء ، وانجرت  
في ذيل غرورهم بعض ضعفاء الإيمان من المسلمين .

رأى أحد المسلمين آخر على منكر ، فأمره ونهاه .

فقال الآخر ساخراً منه : لاتزالون واقفين عند قولكم ،  
هذا حلال وهذا حرام ، والناس قد وصلوا إلى القمر !

فأجابه الأول : إنهم ماوصلوا إلى القمر بكفرهم وفسقهم  
وفجورهم ، إنما وصلوا إليه ببحم وعلومهم .

فبُهِتَ الآخر وسكت !

يخرج عن دين الله ، ما أطاعهم في شيء من ذلك ، ولو أدى به ذلك إلى هلاك .

### الكافر مغلوب منهزم

قال الله تعالى في داود عليه السلام ومن معه من المؤمنين في قتال عدوهم من الكافرين :

﴿ فهزموهم بإذن الله ، وقتل داود جالوت .. ﴾ (١) .

وقال تعالى في فرعون وجنوده :

﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر .

كذبوا بآياتنا كلها ، فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر .

أكفاركم خير من أولئكم ؟ ﴾

أي : هل كفار قريش خير ممن سبقهم من الكافرين ، فلا

يصيبهم ما أصابهم ؟

﴿ أم لكم براءة في الزُّبُر ؟ ﴾

أي : أم لكم وعد من الله في الكتب المنزلة على الأنبياء

## تقرير الكافر بالمؤمن

يسوء الكافر - وقد ضلّ عن الإيمان - أن يهتدي إليه غيره ، فهو يعمل على صدّه عن الحق ، ويفريه بالكفر ، ويشجّع عليه .

قال الله تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا : اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم .

وما هم بماملين من خطاياهم من شيء ، إنهم لكاذبون ﴾ (١) .

ومن تقرير الكافر بالمؤمن ، تزيين الكفر له ، وإضلاله عن الإيمان بأيّ وسيلة كانت ، كإغراء بوظيفة أو مال ، أو منفعة دنيوية ، أو مصلحة شخصية ، أو تفريج كرب ، أو تلبية رغبة ..

والمؤمن الحق يرى الدنيا بعينه حقيرةً ، ولو وضعوا الشمس في يمينه ، والقمر في يساره ، على أن يكفر بالله ، أو

(١) ١٢ - العنكبوت .

بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار ﴿ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنْ تَنْصُرُوهُ (٢) فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ ، إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ : « لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا » .

فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا ، والله عزيز حكيم ﴿ (٣)

كادت قريش للنبي ﷺ كيداً شديداً ، وصممت العزم على قتله ، واجتمع شباب منهم أشداء أقوياء ، على باب النبي ﷺ يرقبون خروجه ، ليضربوه بالسيوف ضربة رجل واحد .

فخرج عليه الصلاة والسلام ، وهو يقرأ :

﴿ وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ، فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ (٤) .

فألقي الله تعالى النوم عليهم ، حتى لم يره أحد .

(٢) يعني الرسول ﷺ .

(٤) ٩ - يس .

(١) ١٢ ، ١٣ - آل عمران .

(٣) ٤٠ - التوبة .

بالسلامة من العقوبة ؟

﴿ أم يقولون : نحن جميع منتصر ؟ ﴾  
 ثم بشرهم الله بالهزيمة ، فقال :  
 ﴿ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ إذ يوحى ربك إلى الملائكة : أني معكم  
 فثبتوا الذين آمنوا (٢) سألقي في قلوب الذين كفروا  
 الرعب ، فاضربوا فوق الأعناق ، واضربوا منهم كل  
 بنان ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ﴾ (٤) .

﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾ (٥) .

﴿ قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم ،

وبئس المهاد .

قد كان لكم آية في فتنتين التقتا : فئة تقاتل في سبيل  
 الله ، وأخرى كافرة ، يورنهم مثلهم رأي العين . والله يؤيد

(٢) أي بشروهم بالنصر .

(٤) ٤٧ - الروم .

(١) ٤١ - ٤٥ - القمر .

(٣) ١٢ - الأنفال .

(٥) ١٤١ - النساء .

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على  
 خير البرية لم تنسج ولم تحم  
 وقاية الله أغنت عن مضاعفة  
 من الدروع وعن عالٍ من الأطم

ولعل من حكمة الله البالغة في تسخير الحمام والعنكبوت  
 - وهما من أضعف المخلوقات - في ردّ المشركين عن الغار، أن  
 ذلك أشد نكالاً بالعدوّ، وأشدّ إذلالاً له، والله عزيز حكيم !  
 وقد ضرب الله تعالى المثل بضعف العنكبوت ووهن  
 بيتها، فقال :

﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا  
 يعلمون ﴾ (١) .

---

(١) ٤١ - العنكبوت .

وزهب والصدّيق أبو بكر رضي الله عنه في صحبته ، حتى  
دخلا غار ثور .

ولما أخفقت قريش في مكيدتها هاج هائجها ، وجعلت  
الجوائز المغرية لمن يأتي به ، أو يدل عليه .

وقد وصلوا في طلبهم إياه إلى ذلك الغار .

وأرسل الله تعالى حمامة فباضت على فم الغار ، وعنكبوتاً  
فنسجت عليه ، فاستبعد الباحثون عنه أن يكون في الغار  
أحد .

وقال أبو بكر رضي الله عنه : يارسول الله لو نظرنا  
مواقع أقدامهم لرأونا .

فقال له رسول الله ﷺ :

« لاتخزن إن الله معنا » .

« ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما » .

ورحم الله البوصيري إذ قال :

## إعلان البراءة من الكافرين

إذا صدق المؤمن في إيمانه ، وأحبَّ ربه عز وجل والى من يواليه ، وعادى من يعاديه ، ومن معاداة الكافر إعلان البراءة منه .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَذَبُوكَ فَقُلْ : لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلِكُمْ ، أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

أي : لا يؤاخذ أحد بذنب الآخر .

وهذه الآية منسوخة بآية السيف .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ .

وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ : إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) .

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتبرأ من خالف أمره ، لأن عصيانهم إياه عصيان لله عز وجل ، لأنه عليه الصلاة والسلام ، لا يأمر إلا بما يرضاه ، ومن تبرأ منه ، تبرأ الله منه .

## الغلظة على الكافرين

أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالغلظة على الكافرين ، فقال :

﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلب  
عليهم .. ﴾ (١) .

وأمر بذلك المؤمنين أيضاً فقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ،  
وليجدوا فيكم غلظة .. ﴾ (٢) .

والغلظة : ضد الرأفة .

فينبغي للمؤمن أن يكون غليظاً على الكافرين ، شديداً  
عليهم ، وأن تكون رحمته ورأفته خاصة بالمؤمنين :

قال الله تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على  
الكفار رحماء بينهم .. ﴾ (٣) .

(٢) ١٢٣ - التوبة .

(١) ٧٣ - التوبة .

(٣) ٢٩ - الفتح .

بأيدينا شاركناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ، وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما بيدك ، كنت قد شركتنا في أمرنا ، وأخذت بحظك منه .

فأنزل الله عز وجل : ﴿ قل : يا أيها الكافرون .. ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : أن رجلاً قال للنبي ﷺ : أوصني .

قال : « اقرأ عند منامك : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ فإنها براءة من الشرك » (٢) .

وقال : ابن عباس رضي الله عنهما : ليس في القرآن أشدُّ عنفاً لإبليس من هذه السورة ، لأنها توحيد وبراءة من الشرك .

فعلى المؤمن الحق ، أن يعلن براءته من كل ما يخالف الإسلام اعتقاداً كان أو عملاً .

عن أبي بريدة قال : وَجِعَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ ، فغُشِيَ

(٢) أبو بكر الأنباري وغيره .

(١) ابن إسحق .

وقال تعالى في خطاب المؤمنين :

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم :

إنا بُرَاءُ منكم وما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم ، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده .. ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ قل : يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولي دين ﴾ (٢) .

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن سبب نزول هذه السورة ، أن الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود ابن عبد المطلب ، وأمّية بن خلف ، لقوا رسول الله ﷺ ، فقالوا :

يا محمد : هلّم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشترك نحن وأنت في أمرنا كله ، فإن كان الذي جئت به خيراً مما

(٢) سورة الكافرون .

(١) ٤ - المتحنة .

وقد نهى الله نبيه ﷺ عن طاعة الكافرين والمنافقين ،  
فقال :

﴿ يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ،  
إن الله كان عليماً حكيماً .

وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ  
خَبِيرًا .

وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلاً ﴿ (١) .

نزلت في أبي سفيان ومن معه ، وقد نزلوا المدينة على  
عبد الله بن أبي بن سلول ، رأس المنافقين بعد أحد .

وقد أعطاهم النبي ﷺ الأمان على أن يكاموه ، فقام معهم  
بعض المنافقين ، فقالوا للنبي ﷺ - وعنده عمر بن  
الخطاب - :

ارفض ذكر آهتنا اللاتِ والعزى ومناة ، وقل : إن لها  
شفاة ومَنعة لمن عبدها ، وَندَعَكَ وَرَبِّكَ .

عليه ، ورأسه في حجر امرأة من أهله ، فأقبلت تصيح برنة  
- أي : صيحة - فلم يستطع أن يردّ عليها شيئاً .

فلما أفاق ، قال : أنا بريء مما برىء منه رسول الله ﷺ .

إن رسول الله ﷺ ، برىء من الصالقة والحالقة  
والشاقّة (١) .

والصالقة : التي ترفع صوتها بالنياحة والندب .

والحالقة : التي تحلق رأسها عند المصيبة .

والشاقّة : التي تشق ثوبها .

### الكافر لا يُطاع

والكافر لا يُطاع ، لأن طاعته تجرّ إلى غفلة أو معصية أو  
كفر .

قال الله تعالى في فرعون وقومه :

﴿ فاستخفّ قومه فأطاعوه .. ﴾ (٢) .

(٢) ٥٤ - الزخرف .

(١) البخاري ومسلم .

وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً .  
ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله ،  
وكفى بالله وكيلاً ﴿١﴾ .

نهى الله تعالى نبيه ﷺ أن يطيع الكافرين والمنافقين فيما  
يشيرون عليه - من المداهنة في الدين ، والمبالاة على الكفر .

وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ :

﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي  
يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة  
الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا ، واتبع هواه ،  
وكان أمره فرطاً ﴾ (٢) .

تكبر بعض المشركين عن مجالسة النبي ﷺ مع فقراء  
المسلمين ، وقالوا :

اجعل لنا يوماً ولهم يوماً .

فهم النبي ﷺ أن يوافقهم حرصاً على أن يؤمنوا .

(٢) ٢٨ - الكهف .

(١) ٤٥ - ٤٨ - الأحزاب .

فشقّ على النبي ﷺ ما قالوا .

فقال عمر : يا رسول الله ائذن لي في قتلهم .

فقال النبي ﷺ : إني قد أعطيتهم الأمان .

فقال عمر : اخرجوا في لعنة الله و غضبه .

فأمر النبي ﷺ أن يُخرجوا من المدينة فنزلت الآية :

وقال تعالى : ﴿ فلا تطع المكذبين ، ودّوا لو تُدهن فيدهنون ﴾ (١) .

أي : تمّنوا أن تلين معهم ، وتصانعهم ، فيلينوا معك ويصانعوك ويدهانوك ، وهذا لا يكون إلا من أهل الباطل ، أما أهل الحق فلا يدهانون ولا يصانعون ، بل يدورون مع الحق حيث دار .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً .

وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً .

(١) ٨ و ٩ - القلم .

دلّ هذا على وجوب اجتناب أهل الكفر وأهل المعاصي ،  
 إذا ظهر منهم منكر ، لأن من لم يجتنبهم فقد رضي فعلهم ،  
 والرضا عن الكفر كفر ، والرضا بالمعصية معصية .

قال تعالى : ﴿ إنكم إذن مثلهم ﴾ .

فكل من جلس في مجلس معصية ، ولم ينكر عليهم ،  
 يكون معهم في الوزر سواء .

وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية ، أو عملوا  
 بها .

فإن لم يقدر على النكير عليهم ، فينبغي أن يقوم عنهم ،  
 حتى لا يكون من أهل هذه الآية .

ولهذا يؤاخذ الفاعل والراضي بعقوبة المعاصي حتى يهلكوا  
 جميعاً .

وفي الحديث الشريف : « إن أول ما دخل النقص على بني  
 إسرائيل ، أنه كان الرجل يلقي الرجل - أي : على المنكر -  
 فيقول :

فنهاه الله تعالى عن ذلك في هذه الآية الكريمة ، ثم أمره فقال :

﴿ وقل : الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .. ﴾ (١) .

وقال تعالى يحذر المؤمنين عامة من طاعة الكافرين :

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب ، يردّوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾ (٢) .

فليحذر المؤمنون في كل عصر ، من طاعة الملاحدة والكافرين في أمر ، فالمؤمن العاقل ينبغي أن يكون على حذر .

### النهي عن القعود مع الكافرين

قال الله تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذن مثلهم .. ﴾ (٣) .

(٢) ١٠٠ - آل عمران .

(١) ٢٩ - الكهف .

(٣) ١٤٠ - النساء .

البدع والأهواء أولى ، لأن أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم ، تجرّ إلى الكفر البواح .

إذا عرفنا هذا ، عرفنا مدى الخطأ والخطر ، الذي يتعرّض له بعض المسلمين من مجالستهم أهل الكفر ، ومشاركتهم إياهم في الطعن بالدين ، والخوض فيما حرم الله تعالى .

### النهي عن موالاتة الكافرين

الموالاتة : هي المحبة والتابعة .

ولا تكون إلا بين المتجانسين ، فلا يوالي المؤمن كافراً بحال .

قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ .. ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ .. ﴾ (٢) .

(٢) ٢٨ - آل عمران .

(١) ٧٣ - الأنفال .

يا هذا : اتق الله ودع ما تصنع ، فإنه لا يحل لك .

ثم يلقاه من الغد ، وهو على حاله ، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده .

فلما فعلوا ذلك ، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ثم لعنهم على لسان أنبيائهم .. « (١) .

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أنه قال :

يا أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم ، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم .. ﴾ (٢) .

وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن الناس إذا رأوا الظالم ، فلم يأخذوا على يديه - أي : لم يمنعوه - أوشك أن يعصمهم الله بعقاب منه » (٣) .

وإذا وجب تجنّب أصحاب المعاصي ، فإن تجنّب أهل

(٢) ١٠٥ - المائدة .

(١) أبو داود والترمذي .

(٣) أبو داود والترمذي .

ففي عبادة وابن أبي نزلت هذه الآيات .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض .. ﴾ .

إلى قوله تعالى : ﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا ، فإن حزب الله هم الغالبون ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .. ﴾ (٢) .

والمحادَّة : وقوع هذا في حد وذاك في حد . كالمشاققة .

يقال : حادَّ فلان فلاناً : أي : صار في حد غير حده .

### ملاحظة :

كان بعض السلف لا يقبل هدية من كافر أو فاسق ، حذراً من أن تكون سبباً لمحبهته .

ففي الحديث الشريف : « تهادوا تحابوا » .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، لا تتخذوا عدوي وعدوكم  
أولياء ، تلقون إليهم بالمودة ، وقد كفروا بما جاءكم من  
الحق .. ﴾ (١) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى  
أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولّهم منكم فإنه  
منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (٢) .

جاء في سبب نزول هذه الآية ، أن يهود بني قَيْنُقَاع ، لما  
حاربوا رسول الله ﷺ ، تشبّث بأمرهم عبد الله بن أبي  
المنافق ، وقام دونهم ، وتمسك بمولاتهم ، ومشى عبادة بن  
الصامت إلى رسول الله ﷺ ، وكان أحد بني عوف من  
الخزرج ، له من حلفهم مثل الذي لعبد الله بن أبي .

فجعلهم عبادةً رضي الله عنه إلى رسول الله ، وتبرأ إلى الله  
ورسوله من حلفهم ، وقال :

يارسول الله أبرأ إلى الله ورسوله من حلفهم ، وأتولّى الله  
ورسوله والمؤمنين ، وأبرأ من حلف الكفار وولايتهم .

(٢) ٥١ - المائة .

(١) ١ - المتحنة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ، لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوِّكُمْ  
أَوْلِيَاءَ .. ﴾ (١) .

﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ .. ﴾ (٢) .

﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا  
الْيَهُودَ .. ﴾ (٣) .

وقد أعلن الله تعالى للمؤمنين عداوة الكافرين عامة ،  
فقال :

﴿ إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا .. ﴾ (٤) .

والعدو لا يُحِبُّ ولا يوالى بحال ، والإنسان مفظور على  
كراهيته وعداوته .

(٢) ٤٥ - النساء .

(٤) ١٠١ - النساء .

(١) ١ - المتحنة .

(٣) ٨٢ - المائدة .

جَبِلَت القلوب على حب من أحسن إليها .  
 فينبغي أن لا يكون في قلب المؤمن مودة أو موالة لكافر  
 أو فاسق .

### عدواة الكافر للمؤمن

الكافر عدوّ للمؤمن لدود ، مهما ادّعى محبة وزعم ولاءً .  
 وقد سمى الله تعالى الكافرين أعداء ، فقال على لسان  
 موسى عليه السلام ، يخاطب بني إسرائيل :  
 ﴿ قال : عسى ربكم أن يهلك عدوكم ، ويستخلفكم في  
 الأرض .. ﴾ (١) .

وقال عز وجل : ﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من  
 عدوكم .. ﴾ (٢) .

وقال سبحانه ، ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن  
 رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ (٣) .

(٢) ٨٠ - طه .

(١) ١٢٩ - الأعراف .

(٣) ٦٠ - الأنفال .

يتفكرون .

ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا ، وأنفسهم كانوا يظلمون ﴿ (١) .

كان هذا الذي ضرب الله تعالى مثله في هذه الآيات ، من علماء بني إسرائيل ، وكان مجاب الدعوة ، يقدمونه في الشدائد ، بعثه نبي الله موسى عليه السلام ، إلى ملك « مدّين » يدعو إلى الله ، فأقطعاه وأعطاه ، فتبع دينه ، وترك دين موسى عليه السلام .

وقالت ثقيف : هو أمية بن أبي الصلت الثقيفي .

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنه : هو صاحبكم أمية ابن أبي الصلت .

وكأنه إنما أراد أن أمية بن أبي الصلت يشبه عالم بني إسرائيل الذي تقدّم ذكره ، فإنه كان قد اتصل إليه علم كثير ، من علم الشرائع المتقدمة ، ولكنه لم ينتفع بعلمه . فإنه أدرك زمان رسول الله ﷺ ، وبلغته أعلامه وآياته ومعجزاته ،

(١) ١٧٥ - ١٧٧ - الأعراف .

## مَثَلُ الْكَافِرِ

ضرب الله تعالى للكافر أمثالاً ، تشير إلى غباوته  
وحقارته :

قال الله تعالى : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ  
بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دَعَاءً وَنِدَاءً ، صَمٌّ بِكُمْ عَمِيٌّ فَهَمَّ لَا  
يَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

شَبَّهَهُم بِالذُّوَابِ السَّارِحَةِ الَّتِي لَا تَفْقَهُ مَا يُقَالُ لَهَا ، بَلْ إِذَا  
نَعَقَ بِهَا رَاعِيهَا - أَيْ : دَعَاهَا إِلَى مَا يَرشُدُهَا - لَاتَفْقَهُ مَا يَقُولُ  
وَلَا تَفْهَمُهُ ، بَلْ إِنَّمَا تَسْمَعُ صَوْتَهُ فَقَطْ .

وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا  
فَانسَلَخْنَا مِنْهَا ، فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ (٢) فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ  
شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ (٣) وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ،  
فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ ، أَوْ تَتْرَكهُ يَلْهَثُ ،  
ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ، فَاقْصِصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ

(٢) أي : لحق به .

(١) ١٧١ - البقرة .

(٣) أي : مال إلى زينة الدنيا .

العطش . فضربه الله تعالى مثلاً لمن كفر بالله وكذب بآياته ،  
فقال :

« إن وعظته ضلّ ، وإن تركته ضلّ »

فهو كالكلب إن تركته لهث ، وإن طردته لهث .

وقال تعالى في اليهود : ﴿ مثل الذين حُمّلوا التوراة <sup>(١)</sup>  
ثم لم يحملوها <sup>(٢)</sup> كمثل الحمار يحمل أسفاراً <sup>(٣)</sup> ﴾ <sup>(٤)</sup> .

قال بعض المفسرين : الحمار لا يدري أسفر على ظهره أم  
زبل ؟

فهكذا اليهود ، لم ينتفعوا بالتوراة ، كما لا ينتفع الحمار بما  
يحمل على ظهره من الكتب .

---

(١) أي : كلفوا العمل بها .

(٢) أي : لم يعملوا بها .

(٣) أي : كتباً .

(٤) ٥ - الجمعة .

وظهرت لكل من له بصيرة ، ومع هذا اجتمع به ، ولم يتبعه ،  
وصار إلى موالاته المشركين ومناصرتهم وامتداحهم . ورثى أهل  
بدر من المشركين بمرثاة بليغة .

وقد جاء في الحديث : « أنه ممن آمن لسانه ، ولم يؤمن  
قلبه .

فإن له أشعاراً ربانية ، وحكماً وفصاحة ، ولكنه لم يشرح  
الله صدره للإسلام .

وشبّه بالكلب فقال : ﴿ إن تحمل عليه يلهث أو تتركه  
يلهث ﴾ .

أي : صار مثله في ضلاله واستمراره فيه ، وعدم انتفاعه  
بالدعوة إلى الإيمان ، وعدم الدعوة ، كالكلب في لهثه في  
حاليته ، إن حملت عليه ، وإن تركته ، فهو يلهث في  
الحالين .

قال بعض العلماء : كل شيء يلهث إنما يلهث من إعياء أو  
عطش ، إلا الكلب ، فإنه يلهث في حال التعب وحال  
الراحة ، وحال المرض وحال الصحة ، وحال الريّ وحال

والشر ، وَلَقَّهْمُ إِلَى مَظَاهِرِ قَدْرَتِهِ وَعَظَمَتِهِ ، فلم ينتفعوا  
بأسماعهم وأبصارهم وعقولهم ، فكانوا شراً من الأنعام ، لأن  
الأنعام لم تُعْطِ العقل ، ولم تُشْرَعْ لها شرائع .

### الله تعالى يمهّل الكافر

والله تعالى يمهّل الكافر ، ولا يعاجله بالعقوبة ، لعله  
يهتدي إلى الإيمان ، فينجو من العذاب ، وإذا لم يهتد إلى  
الإيمان أعذر الله إليه ، واشتدت نقمته عليه .

قال الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ اسْتَهْزِءَ بِرِسَالِي مِنْ قَبْلِكَ ، فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ  
كَفَرُوا <sup>(١)</sup> ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِي ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ ، فَكَيْفَ كَانَ  
نَكِيرِي ؟ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) أي : أمهلتهم .

(٢) ٣٢ - الرعد .

(٣) ٤٤ - الحج .

## الكافر شرُّ الدواب

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، أطيعوا الله  
ورسوله ، ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون .

ولا تكونوا كالذين قالوا : « سمعنا وهم لا يسمعون » .

إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا  
يعقلون ﴿ (١) .

والدوابّ : جمع دابة ، والدابة تجمع الحيوان كله ، لأن كل  
ما يدب على وجه الأرض فهو دابة ، فشمّل الإنسان والحيوان .

وهؤلاء شر الدواب ، لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيما  
خلقها له ، وهؤلاء خلّفوا للإيمان والعبادة ، فكفروا .

وقد وصف الله تعالى الكافرين بالأنعام أيضاً فقال :

﴿ إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً ﴾ (٢) .

وإنما كان الكافرون كالأنعام ، لأن الله تعالى منحهم السمع  
والأبصار والعقول ، وشرع لهم الشرائع ، وبيّن لهم طريق الخير

(٢) الفرقان - ٤٤ .

(١) ٢٠ - ٢٢ - الأنفال .

وقال تعالى : ﴿ ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم  
بالخير ، لنقضي إليهم أجلهم .. ﴾ (١) .

﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها (٢) من  
دابة ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى .. ﴾ (٣) .

﴿ فلا تعجل عليهم ، إنما نعدّ لهم عدّاً ﴾ (٤) .

﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، ولا تستعجل  
لهم .. ﴾ (٥) .

وقال تعالى يهدّد الكافرين بتعجيل العقوبة :

﴿ وإذا مستكم الضُّرُّ في البحر (٦) ضلّ (٧) من تدعون إلا  
إياه .

فلما نجاكم إلى البر أعرضتم ، وكان الإنسان كفوراً .  
فأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ، أو يرسل عليكم

(٢) أي : على الأرض .

(٤) ٨٤ - مريم .

(٦) أي : خوف الفرق .

(١) ١١ - يونس .

(٣) ٦١ - النحل .

(٥) ٣٥ - الأحقاف .

(٧) أي : فُقد .

﴿ وكأين من قرية أملت لها وهي ظالمة ، ثم أخذتها .. ﴾ (١) .

﴿ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ، ولهم عذاب مهين ﴾ (٢) .

﴿ فهمل الكافرين أمهلهم رويداً ﴾ (٣) .

أي : أنظرهم ، ولا تستعجل لهم ، وسترى ماذا أحلّ بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك .

﴿ وذرنى والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً ﴾ (٤) .

وفي الحديث الشريف : « إن الله ليملي للظالم - أي : يمهله - فإذا أخذه لم يُفلته »

ثم قرأ : ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد ﴾ (٥) .

(١) ٤٨ - الحج . (٢) ١٧٨ - آل عمران .

(٣) ١٧ - الطارق . (٤) ١١ - الزمل .

(٥) ١٠٢ - هود . والحديث رواه مسلم والبخاري .

وهذا كله في الكافر .

أما المؤمن العاصي ، فقد يمهله الله تعالى ليتوب ، وقد يعجل عقوبته في الدنيا ، بالأم وأسقام ، وكروب وخطوب ، وهموم وغموم .. إن لم يعف عنه بفضله .

ففي الحديث الشريف : « إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » (١) .

« ما يصيب المسلم من نصب - أي : تعب - ولا وصب - أي : مرض - ولا همّ ولا حزن ، ولا أذى ولا غمّ ، حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياها » (٢) .

وكانت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها إذا أصابها صداع ، أخذت رأسها بيدها ، وقالت : « بذنبي ، وما يعفو أكثر » .

ونظر رجل من السلف إلى امرأة ، ثم مشى ، فأصابه

(٢) البخاري ومسلم .

(١) مسلم .

حاصبا (١) ثم لا تجدوا لكم وكيلاً (٢) أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى ، فيرسل عليكم قاصفاً من الريح ، فيغرقكم بما كفرتم ، ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً (٣) ﴿ (٤) .

هدّهم الله تعالى في ذلك بتعجيل العقوبة لهم في الدنيا ، قبل الآخرة .

وقال تعالى في تعجيل العقوبة للكافر في الدنيا :

﴿ كذأب آل فرعون والذين من قبلهم ، كذبوا بآياتنا ، فأخذهم الله بذنوبهم ، والله شديد العقاب ﴾ (٥) .

﴿ ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعةً (٦) أو تحلّ قريباً من دارهم ، حتى يأتي وعد الله ، إن الله لا يخلف الميعاد ﴾ (٧) .

(١) أي : ريحاً شديدة ترمي بالحصاء وهي الحصى الصفار .

(٢) أي : حافظاً ونصيراً .

(٣) أي : من يتبعنا بطلب الثأر لكم .

(٤) ٦٧ - ٦٩ - الإسراء .

(٥) ١١ - آل عمران .

(٦) أي : داهية .

(٧) ٣١ - الرعد .

ففریقاً کذبتم ، وفریقاً تقتلون ؟  
 وقالوا : « قلوبنا غُلْف » <sup>(١)</sup> بل لعنهم الله بكفرهم ،  
 فقليلاً ما يؤمنون ﴿ <sup>(٢)</sup> .

﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ، أولئك عليهم لعنة  
 الله والملائكة والناس أجمعين .  
 خالدين فيها ، لا يُخَفَّف عنهم العذاب ، ولا هم  
 يُنظرون ﴾ <sup>(٣)</sup> .

﴿ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود  
 وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون .  
 كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا  
 يفعلون ﴾ <sup>(٤)</sup> .

﴿ إن الله لعن الكافرين ، وأعدّ لهم سعيراً ﴾ <sup>(٥)</sup> .

وذمّ الله تعالى اليهود ، ثم قال :

---

(١) أي : عليها غشاوة .  
 (٢) ١٦١ و ١٦٢ - البقرة .  
 (٣) ٧٨ و ٧٩ - المائدة .  
 (٤) ٦٤ - الأحزاب .  
 (٥) ٨٧ و ٨٨ - البقرة .

جدارٌ ، فَشَجَّ رأسه ، فقال :

« ذنبٌ عَجَلت عقوبته » .

وحدثني بعض أهل الفضل ، أنه كان في الطواف حول الكعبة مرة ، فوقع نظره على امرأة ، فسُرقت منه ساعته ، وكانت ذات قيمة .

قال : فعرفت أن ذلك بذنبي .

وأما العفو والمغفرة ، فقد قال تعالى :

﴿ إن الله لا يغفر أن يُشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ (١) .

### على الكافر اللعنة

اللعن : هو الطرد من رحمة الله تعالى بسبب سخطه .

قال الله تعالى في خطاب الكافرين :

﴿ أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ،

(١) ٤٨ - النساء .

إلى يوم الدين ﴿ (١) .

قال بعض السلف : إياك والقياس - أي احذره وتبصر فيه - فإن أول من قاس إبليس ، قاس فأخطأ :

﴿ قال : أنا خير منه ، خلقتني من نار ، وخلقته من طين ﴾ (٢) .

### ما يجوز لعنه

يجوز لعن أصحاب المعاصي غير المعيّنين .

فيقال : ألا لعنة الله على الكاذبين .

ولعنة الله على الظالمين .

ولعنة الله على الكافرين .

وقد لعن رسول الله ﷺ بعض العصاة بسبب معاصيهم :

ففي الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال :

« لعن الله الواصلة - وهي التي تصل شعرها بشعر آدمي -

(٢) ١٢ - الأعراف ، و٧٦ - ص .

(١) ٣٢ - الحجر .

﴿ أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيراً ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف ، وصفُ مشهد من مشاهد القيامة ، وذلك قوله ﷺ :

« .. وأما الكفار ، فينادى على رؤوس الأشهاد :

﴿ هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ، ألا لعنة الله على الظالمين ﴾ (٢) .

رأس من يستحق اللعنة إبليس

قال الله تعالى بعدما أمر الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام ، فسجدوا إلا إبليس :

﴿ قال : يا إبليس مالك أن لا تكون مع الساجدين ؟  
قال : لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون .

قال : فاخرج منها ، فإنك رجيم (٣) وإنّ عليك اللعنة

(١) ٥٢ - النساء . (٢) ١٨ - هود . والحديث رواه البخاري ومسلم .

(٣) أي : ملعون مشنوم .

## ملا يجوز لعنه

لا يجوز لعن إنسان بعينه ، ولا دابة .

واللعن في الأصل معدود من آفات اللسان .

وفي الحديث الشريف : لا ينبغي لصديق أن يكون  
لعاناً<sup>(١)</sup> .

لا يكون لللعان شفاء ولا شهداء يوم القيامة<sup>(٢)</sup> .

ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا  
البذيء<sup>(٣)</sup> .

إن العبد إذا لعن شيئاً ، صعدت اللعنة إلى السماء ، فتغلق  
أبواب السماء دونها ، ثم تهبط إلى الأرض ، فتغلق أبوابها  
دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالاً فإذا لم تجد مساعاً - أي : طريقاً -  
رجعت إلى الذي لعن ، فإن كان أهلاً لذلك ، وإلا رجعت  
إلى قائلها<sup>(٤)</sup> .

(٣) الترمذي .

(١ ، ٢) مسلم .

(٤) أبو داود .

والمستوصلة - وهي التي تطلب من غيرها فعل ذلك - وأنه لعن  
أكل الربا وموكله ، وشاهديه ، وكاتبه .

وأنه لعن المصوّرين - الذين يصوّرون ذوات الأرواح من  
إنسان وحيوان -

وقال : لعن الله السارق يسرق البيضة .

وقال : لعن الله من لعن والديه .

ولعن الله من ذبح لغير الله .

وقال : لعن الله اليهود ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد  
- أي : يتعبدون بعبادة القبور .

وأنه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من  
النساء بالرجال (١) .

---

(١) بعض هذه الروايات في البخاري ومسلم ، وبعضها في أحدهما .

## الكفار يلعن بعضهم بعضاً

قال الله تعالى في خطاب الكافرين :

﴿ ثم يوم القيامة يكفر بعضهم ببعض ، ويلعن بعضهم بعضاً .. ﴾ (١) .

أي : تتبرأ الأوثان يوم القيامة من عبّادها ، والرؤساء من أتباعهم ، والأتباع من رؤسائهم ، ويلعن بعضهم بعضاً .

وقال الله تعالى فيهم :

﴿ وقالوا : ربنا إنّنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا .

ربنا آتهم ضعفين من العذاب ، والعنهم لعناً كبيراً ﴾ (٢) .

وقال تعالى في خطاب الكافرين يوم القيامة :

﴿ قال : ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار .

(٢) ٦٧ و ٦٨ - الأحزاب .

(١) ٢٥ - العنكبوت .

وجيء برجل شرب الخمر ، فأقيم عليه الحدّ ،

فقال بعضهم : لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به :

فنهاهم النبي ﷺ ، وقال :

« لا تكونوا عونَ الشيطان على أخيك » (١) .

وبينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره ، وامرأة من الأنصار على ناقه ، فضجرت - أي : من صعوبتها - فلعلنتها .

فسمع ذلك رسول الله ﷺ ، فقال :

« خذوا ما عليها ، ودعوها فإنها ملعونة »

قال الراوي : فكأنني أراها الآن تمشي في الناس ، ما يعرض لها أحد (٢) .

والمراد النهي أن تصاحبهم تلك الناقة ، وليس فيه نهى عن بيعها ، وذبحها ، وركوبها في غير صحبة النبي ﷺ . وفي ذلك تأديب وأي تأديب !

(٢) مسلم .

(١) البخاري ومسلم .

وإنهم ليصدّونهم عن السبيل ، ويحسبون أنهم مهتدون .  
 حتى إذا جاءنا قال : ياليت بيني وبينك بُعدَ المشرقين ،  
 فبئس القرين !  
 ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب  
 مشتركون ﴿ (١) .

فالقريّن شيطان يقارن صاحبه من الإنس في الدنيا ،  
 فيمنعه من الحلال ، ويبعثه على الحرام ، وينهاه عن الطاعة ،  
 ويأمره بالمعصية .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :

« خرج النبي ﷺ من عندي ليلاً ففرتُ عليه ، فجاء  
 فرأى ما أصنع - أي : من أثر الغيرة -

فقال : مالكِ يا عائشة ؟ أغرتِ ؟

قالت : وما لي لا يغار مثلي على مثلك ؟

قال : أقد جاء شيطانك ؟

كلما دخلت أمة لعنت أختها . حتى إذا اذَّركوا<sup>(١)</sup>  
فيها جميعاً ، قالت أخراهم لأولاهم :

ربنا هؤلاء أضلونا ، فآتيتهم عذاباً ضعيفاً من النار .  
قال : لكلٍ ضعفٌ ولكن لا تعلمون ﴿<sup>(٢)</sup> .

نقمة الكافر على من أضله

قال الله تعالى في نقمة الكافر في الآخرة على من أضله :

﴿ وقال الذين كفروا : ربنا أرنا اللذين أضلانا من  
الجن والإنس ، نجعلها تحت أقدامنا ، ليكونا من  
الأسفلين ﴾<sup>(٣)</sup> .

يسألون الله تعالى ذلك حتى يشتفوا منهم ، بأن يجعلهم  
تحت أقدامهم ، لأنهم كانوا سبب ضلالهم وشقائهم .

وقال تعالى : ﴿ ومن يعيش عن ذكر الرحمن تقيض له  
شيطاناً فهو له قرين .

(٢) ٣٨ - الأعراف .

(١) أي : اجتمعوا .

(٣) ٢٩ - فصلت .

فكان عاقبتها أنها في النار خالدَيْنِ فيها ، وذلك جزاء  
الظالمين ﴿ (١) .

هذا ضربٌ مثل للمنافقين واليهود ، في نخاذلم وعدم الوفاء  
في نصرتهم .

﴿ وقال الشيطان لما قُضِيَ الأمر ﴾ .

أي : صار أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار :

﴿ إن الله وعدكم وعد الحق ، ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لي  
عليكم من سلطان ، إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي ، فلا  
تلوموني ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمُصرخكم (٢) وما أنتم  
بمُصرخيّ إني كُفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم  
عذاب أليم ﴿ (٣) .

(١) ١٦ و ١٧ - الحشر .

(٢) أي : منقذكم .

(٣) ٢٢ - إبراهيم .

قالت : يا رسول الله ! أو معي شيطان !؟

قال : نعم .

قالت : ومع كل إنسان !؟

قال : نعم .

قالت : ومعك يا رسول الله !؟

قال : نعم ، ولكنَّ ربي أعانني عليه حتى أسلم « (١) .

### الشيطان يورط في الكفر

الشيطان عدو للإنسان ، ومن عداوته وسوسته له ،  
وتثيبه عن الطاعة ، وتزيين المعصية له ، وتوريثه في  
الكفر .

قال الله تعالى : ﴿ كَتَّلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ  
« اكْفُرْ » .

فما كفر قال . إني بريء منك ، إني أخاف الله رب  
العالمين .

---

(١) مسلم .

قالوا : آليهود والنصارى ؟

قال : فمن ؟ (١) - أي : فمن غيرهم - ؟

وها نحن أولاء نرى كثيراً من المسلمين ، كفروا بسدينهم الحق ، لما رأوا الأجنبي الكافر ، كفر بدينه الباطل .

وقال تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل ، فطال عليهم الأمد فقسست قلوبهم ، وكثير منهم فاسقون ﴾ (٢) .

وفي قوله تعالى : ﴿ ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب ﴾ .

نهيّ عن مطلق مشابهتم .

فالبعد عن التشبه بالكافرين في شيء من أقوالهم وأفعالهم ومظاهرهم وأهوائهم .. من المقاصد والغايات التي جاء بها الإسلام .

(٢) ١٦ - الحديد .

(١) البخاري ومسلم .

## الكافر محروم من المغفرة

قال الله تعالى :

﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (١) .

﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ .. ﴾ (٢) .

﴿ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ، ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ .. ﴾ (٣) .

وقال تعالى في المنافقين : ﴿ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ .. ﴾ (٤) .

## النهي عن التشبه بالكافر

لقد حذر النبي ﷺ من تقليد الكافرين ، فقال :  
« لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شَبْرًا بِشَبْرٍ ، وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ  
دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ .

(١) (٢ ، ٤٨ و ١٦٨ - النساء .

(٢) (٣) - ٣٤ - محمد .

(٤) ٦ - المنافقون .

ونهى النبي ﷺ عن الاشتغال - أي : الالتفاف - بالثوب في الصلاة ، فقال :

« لا تشتملوا كاشتمال اليهود » (١) .

وقد سنّ النبي ﷺ للصائم طعام السحور ، وقال :

« فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » (٢) .

وصام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء - أي : العاشر من المحرم .. وأمر بصيامه ، فلما رأى اليهود والنصارى تعظم هذا اليوم ، وتصومه ، قال :

« فإذا كان العام المقبل - إن شاء الله - صمنا اليوم التاسع - أي : مع العاشر -

فلم يأتِ العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ » (٣) .

وفي الحديث الشريف :

(٢) مسلم .

(١) البيهقي .

(٣) مسلم وأبو داود .

وقد أعرض النبي ﷺ عن أمور، ونهى عنها، بجانبه  
للتشبه بالكافرين :

لما شاور النبي ﷺ أصحابه رضي الله عنهم ، فيما يجمع به  
الناس للصلاة ، ذكر له البوق ، فلم يعجبه ذلك ، وقال : هو  
من أمر اليهود .

وذكر له الناقوس ، فقال : هو من أمر النصارى .

وانصرفوا قبل أن يجتمعوا على رأي ، فرئي الأذان في  
المنام ، وشرع الأذان (١) .

ونهى النبي ﷺ عن الصلاة حتى تطلع الشمس حتى  
ترتفع ، وقال :

« حينئذ يسجد لها الكفار » .

ونهى عن الصلاة حتى تغرب الشمس ، وقال :

« حينئذ يسجد لها الكفار » (٢) .

(٢) مسلم .

(١) أبو داود .

فَحَلَّقَ الرجال اللحي ، وإطالة الشوارب أحياناً ،  
وتقصيرها أحياناً ، والتفنن في أشكالها ، والتخنفس وخروج  
النساء سافرات ، ولبسهن لبسة الرجال ، واختلاطهن  
بالرجال .. كل ذلك من التقليد الأعمى ، الذي ينبغي أن  
يربأ المسلم بنفسه عن الإنسياق فيه ، والاسترسال مع الكافر في  
أهوائه .

والمسلم الحق ينبغي أن يكون معتزاً بإسلامه ، متمسكاً  
بسننه وأدابه ، متميزاً في مظهره ، متميزاً في شخصيته ، لا يذوب  
في شخصية غيره ، ولا ينحط إلى مستوى التقليد الأعمى  
الذميم .

### النهي عن الاستغفار للكافرين

نهى الله تعالى النبي ﷺ والمؤمنين ، أن يستغفروا  
للكافرين ، فقال عز وجل :

﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو  
كانوا أولي قربى ، من بعد ما تبين لهم أصحاب الجحيم .

«أحفوا الشارب ، وأوفوا اللحى » (١) .

« جَزَوْا الشوارب ، وأرخوا اللحى ، خالفوا المجوس » (٢) .

« لا تسلّموا تسليم اليهود ، فإن تسليم بالراءوس والأكف والإشارة » (٣) .

« نظفوا أفئيتكم ولا تشبهوا باليهود » (٤) .

« من تشبه بقوم فهو منهم » (٥) .

ثبت بهذا كله أن مخالفة الكفار ، وترك التشبه بهم ، من مقاصد الشريعة الإسلامية العليا ، فعلى المسلمين رجالاً ونساءً أن يراعوا ذلك في شؤونهم كلها .

وعلى المسلمين أن يستيقظوا من غفلاتهم ، ويعلموا أنهم منساقون في تيار التقليد الأجنبي الأعمى ، من حيث يدرون ، ومن حيث لا يدرون :

(٢) مسلم .

(٤) الترمذي .

(١) البخاري .

(٣) النسائي .

(٥) أبو داود .

أفترى على الله كذباً ، أم به جنّة ؟ (١) .  
 بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال  
 البعيد ﴿ (٢) .

﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا .  
 ﴿ قل بلى وربي لتبعثنَّ ، ثم لتنبؤنَّ بما عملتم ، وذلك  
 على الله يسير ﴾ (٣) .

﴿ وقال الذين كفروا : أئذا كنا تراباً وأبأؤنا ، أئنا  
 لمخرجون ؟  
 لقد وعدنا هذا نحن وأبأؤنا من قبل ، إن هذا إلا أساطير  
 الأولين ﴾ (٤) .

### حكّموا العقل السليم

إن العقل السليم يقضي بمصير الناس إلى يوم يحكم الله تعالى  
 فيه بين عباده ، فيأخذ للمظلوم من الظالم ، ويكافيء فيه  
 المحسن ، ويجازي فيه المسيء .

(٢) ٧ و ٨ - سبأ .

(٤) ٦٧ و ٦٨ - النمل .

(١) أي : جنون .

(٣) ٧ - التغابن .

وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن إبراهيم لأواه حلیم ﴿ (١) .

والموعدة التي وعد إبراهيم عليه السلام أباه ، هي قوله حين دعاه إلى الإيمان فاعرض :

﴿ سلامٌ عليك ، سأستغفر لك ربي .. ﴾ (٢) .

### تكذيب الكافر بالآخرة

لما كفر الكافر بالله وبشرائع الله ، أنكر الآخرة وكذّب بها ، واستبعد أن تحشر الأجساد بعد فنائها :

﴿ وقال الذين كفروا : لا تأتينا الساعة .

قل : بلى وربي لتأتينكم .. ﴾ (٣) .

﴿ وقال الذين كفروا : هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا

مُزقتم كل ممزق إنكم لفي خلق جديد !؟

(٢) - ٤٧ - مريم .

(١) ١١٣ و ١١٤ - التوبة .

(٣) - ٣ - سبأ .

وقد أعلن الله تعالى في كتابه الكريم فقال :

﴿ إن للمتقين عند ربهم جناتٍ النعيم .

أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟ مالكم كيف تحكون ﴾ (١) .

﴿ أفمن كان مؤمناً كن كان فاسقاً ؟ لا يستون ﴾ (٢) .

﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين

آمنوا وعملوا الصالحات ، سواءٌ بحياهم ومئاتهم ؟ ساء

ما يحكون ﴾ (٣) .

﴿ وما يستوي الأعمى والبصير ، والذين آمنوا وعملوا

الصالحات ، ولا المسيء .. ﴾ (٤) .

(٢) ١٨ - السجدة .

(٤) ٥٨ - غافر .

(١) ٣٤ - ٣٦ - القلم .

(٣) ٢١ - الجاثية .

فالوالدان لا يستوي عندهما أولادهما : فستان بين ولد بار  
محسن ، مبادر إلى مرضاة والديه ، وولد عاقّ مسيء ، متقاعد  
عن خدمتها !

ولكلٍ عندهما منزلة .

والأستاذ لا يستوي عنده طلابه : فستان بين طالب مجدّ  
مهذب أديب ، وطالب خمول شرس مسيء .

ولكلٍ منها عنده منزلة .

وربّ العمل لا يستوي عنده عماله : فستان بين عامل  
أمين مخلص نشيط ، وعامل خائن متعاس خمول .

ولا شك أن لكل واحد منها عنده منزلة .

والله تعالى أجلّ وأحكم وأعدل من أن يستوي عنده  
عباده : فستان بين مؤمن تقيّ طائع ، وكافر عاصٍ أثيم .

ولا يقبل العقل السليم أن يكونا عنده بمنزلة سواء .

وقد أجمعت العقول البشرية على استحقاق المسيء  
العقوبة ، واستحقاق المحسن المكافأة والثوبة .

جاء أبيّ بن خلف بعظم حائل - أي : بالٍ مفتت -  
فقال :

يا محمد ! أترى أن الله يحيي هذا بعد مارمّ - أي : بلي - ؟!  
فقال النبي ﷺ : « نعم ، ويبعثك الله ، ويدخلك  
النار »

ونزلت هذه الآيات .

ثم إن الله تعالى الذي خلق الإنسان ، وبدأ خلقه في بطن  
أمه نطفة ، ثم طوره علقة ، ثم أخرجه طفلاً ..

والذي يحيي الأرض بوابل المطر ، فتنبت من كل زوج  
بهيج .. وذلك مشاهد محسوس ، قادر على أن يعيد الإنسان  
بعد موته :

قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من  
البعث ، فإننا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة ، ثم من  
علقة ، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقرّ في  
الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلاً ، ثم

## سبب تكذيب الكافر بالآخرة

سبب تكذيب الكافرين بالآخرة ، كفرهم بالله تعالى أولاً ، ثم إنكارهم لقدرته ، واستبعادهم أن تُحشر الأجساد بعد الفناء .

مع أن الإنسان المخلوق لابد له من خالق .

والذي بدأ الخلق ، قادر أن يعيده مرة أخرى .

قال الله تعالى : ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده ، وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانَ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ ، فإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ؟

وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال :

من يحيي العظام وهي رميم ؟!

قل : يحييها الذي أنشأها أول مرة .. ﴾ (٢) .

(٢) ٧٧ - ٧٩ - يس .

(١) ٢٧ - الروم .

## ندامة الكافر في الآخرة

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار ،  
 فلن يُقْبَل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به .  
 أولئك لهم عذاب أليم ، وما لهم من ناصرين ﴾ (١) .

﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال :  
 ربّ ارجعون ، لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت .. ﴾ (٢) .

﴿ ويوم يَعِضُ الظالم على يديه ، يقول :  
 يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً .  
 يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً .  
 لقد أضلّني عن الذكر بعد إذ جاءني ، وكان الشيطان  
 للإنسان خذولاً ﴾ (٣) .

﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ، وجئنا بك على  
 هؤلاء شهيداً ؟

(١) - آل عمران .

(٢) - المؤمنون .

(٣) - الفرقان .

لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوقى ، ومنكم من يُردّ إلى أرذل  
العمر (١) لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً .

وترى الأرض هامدة ، فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت  
وربت ، وأنبتت من كل زوج بهيج .  
ذلك بأن الله هو الحق ، وأنه يحيي الموتى ، وأنه على كل  
شء قدير .

وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في  
القبور ﴿ (٢) .

﴿ ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة (٣) فإذا أنزلنا  
عليها الماء اهتزت وربت .  
إن الذي أحيأها لمحيي الموتى ، إنه على كل شيء  
قدير ﴿ (٤) .

(١) وهو الخرف .

(٢) ٥ - ٧ - الحج .

(٣) أي : ساكنة مطمئنة لابنات فيها .

(٤) ٣٩ - فصلت .

ومعنى أعذر إليه : بلغ به أقصى العذر .

ومنه قولهم : قد أعذر من أذرت .

أي : أقام عذر نفسه في تقديم إنذاره .

فمن عمّرهُ الله تعالى ستين سنة ، لم يبقَ له عذر ، لأن  
الستين قريب من معترك المنايا ، وهو سنّ الإنابة والخشوع  
وترقب المنية ، ولقاء الله تعالى .

ففيه إعدار بعد إعدار .

الأول بالنبي ﷺ .

والثاني بالموت في الأربعين إلى الستين .

فكيف بمن جاوزها ؟

ورحم الله القائل :

ليس بعد السبعين إلا الرحيل

فإلام التسويف والتعليل ؟

لم يفِدك الكثير من مهلة العمر

فإذا عسى يفيد القليل ؟

يومئذ يودّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم  
الأرض ، ولا يكتمون الله حديثاً ﴿ (١) .

﴿ إنا أنذرناكم عذاباً قريباً .

يوم ينظر المرء ما قدمت يداه ، ويقول الكافر : ياليتني  
كنت تراباً ﴿ (٢) .

﴿ والذين كفروا لهم نار جهنم ، لا يُقضى عليهم  
فيوتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، كذلك نجزي كل  
كفور .

وهم يصطرخون فيها : ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير  
الذي كنا نعمل .

أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر ، وجاءكم النذير ؟  
فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴿ (٣) .

قال المفسرون : النذير هنا معناه : الشيب .

وفي الحديث الشريف : « أعذر الله إلى امرئ آخر أجله  
حتى بلغه ستين سنة » (٤) .

(٢) - ٤٠ - النبأ .

(٤) البخاري .

(١) - ٤١ - النساء .

(٣) - ٣٦ و ٣٧ - فاطر .

رأيت الشيب من نُذُر المنايا  
لصاحبه ، وحسبك من نذير

وقال رجل لبعض السلف : عظني .

قال : أحيّ أبواك ؟

قال : لا .

قال : ففيها عظة .

أي : كما أتاها الموت ، فهو آتيك ، ومن كان كذلك استعدّ  
له .

من وعيد الكافرين وتهديدهم

قال الله تعالى على وجه التبكيث والتهديد :

﴿ قل : آمنوا به <sup>(١)</sup> أو لا تؤمنوا .. ﴾ <sup>(٢)</sup> .

(١) أي : بالقرآن .

(٢) ١٠٧ - الإسراء .

كم نذيرٍ أتاك شيبٌ وضعفٌ  
 وسُهَادَةٌ لا عن هوى ، ونحولٍ  
 ليت شعري إذا سئلت عن  
 الغفلة من بعد هذه ماتقول ؟

ورحم الله الآخر إذ يقول :

حكم المنيّة في البرية جار  
 ماهذه الدنيا بدار قرارٍ  
 بينا يَرَى الإنسان فيها مخبراً  
 حتى يَرَى خبراً من الأخبار

وفي الحديث الشريف : « أعمار أمتي ما بين الستين إلى  
 السبعين ، وأقلهم من تجاوز ذلك » (١) .

وقال العلماء : الشيب والحمى وموت الأهل والأقران ..  
 كل ذلك إنذار بالموت .  
 وهذا كقول الشاعر :

---

(١) ابن ماجه

﴿ لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم  
النار ولا عن ظهورهم ، ولا هم ينصرون .  
بل تأتيهم بغتة فتبهتهم ، فلا يستطيعون ردها ، ولا هم  
يُنظرون ﴾ (١) .

وفي الحديث الشريف : « فإذا أدخل الله أهل الجنة  
الجنة ، وأهل النار النار ، أتى بالموت ، فيوقف على السور  
الذي بين الجنة والنار .

ثم يقال : يا أهل الجنة ! فيطلعون خائفين .

ثم يقال : يا أهل النار ! فيطلعون مستبشرين يرجون  
الشفاعة .

فيقال لأهل الجنة وأهل النار : هل تعرفون هذا؟

فيقولون : قد عرفناه ، وهو الموت الذي وكل بنا .

فيُضجع فيُذبح على السور الذي بين الجنة والنار .

ثم يقال : يا أهل الجنة خلود لا موت ، ويا أهل النار

(١) ٣٩ و ٤٠ - الأنبياء .

﴿ وقل : الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر .. ﴾ (١) .

﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون ﴾ (٢) .

﴿ يوم تبيضّ وجوه ، وتسودّ وجوه :  
فأما الذين اسودت وجوههم : أكفرتم بعد إيمانكم ؟  
فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ (٣) .

﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نُصليهم ناراً ، كلما  
نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا  
العذاب .. ﴾ (٤) .

﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم ، وعذاب أليم بما  
كانوا يكفرون ﴾ (٥) .

---

(١) ٢٩ - الكهف .

(٢) ٣٩ - البقرة .

(٣) ١٠٦ - آل عمران .

(٤) ٥٦ - النساء .

(٥) ٤ - يونس .

فرس ، في ثياب جميلة ، وعليه أثر النعمة ، فاعترضه يهودي فقير ، في ثياب بالية ، وجسدٍ قذر .

وقال : يا عالم المسلمين أريد أن أسألك .

فقال : سل .

قال صحيح أن نبيكم قال :

« الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ؟

قال : نعم .

فقال بلهجة الساخر : ففي أيّ جنة أنا ؟ وفي أيّ سجن أنت ؟

فقال له الإمام : يا هذا : أنا بالنسبة لما أعدّ الله تعالى لي في الآخرة من النعيم ، كأني الآن في سجن .

وأنت بالنسبة لما أعدّ الله تعالى لك في الآخرة من العذاب ، كأنك الآن في جنة .

فأفحم اليهودي وسكت .

خلود لا موت .

ثم قرأ : ﴿ وأندرهم يوم الحسرة ، إذ قُضي الأمر ، وهم في غفلة ، وهم لا يؤمنون ﴾ (١) .

وأشار إلى الدنيا .

وفي الحديث الشريف : « يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة ، فيصْبَغ - أي : يغمس - في النار صبغة ، ثم يقال :

يا بن آدم : هل رأيت خيراً قط ؟

هل مرّ بك نعمّ قط ؟

فيقول : لا والله يارب ..» (٢) .

وفي حديث آخر : « الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر » (٣) .

رُوي أن الإمام أبا حنيفة رضي الله عنه ، كان راكباً على

(١) ٢٩ - مريم . والحديث رواه مسلم والترمذي .

(٢) و٣ مسلم .

وذلك ظنكم الذي ظننتم بربكم ، أرداكم (١) فأصبحتم من  
الخاسرين ﴿ (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه أنه قال : كنا عند رسول الله  
ﷺ فضحك ..

فقال : « تدرون ممّ أضحك ؟

قلنا : الله ورسوله أعلم .

قال : من مخاطبة العبد ربه .

يقول : ياربّ : ألم تُجرني من الظلم ؟

فيقول : بلى .

فيقول : لأني لا أجز على نفسي إلا شاهداً مني .

فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام

الكتابين شهوداً .

---

(١) أي : أهلككم .

(٢) ١٩ ، ٢٢ - فصلت .

## تشهد على الكافر أعضاؤه

قال الله تعالى يصف مشهداً من مشاهد القيامة ، تشهد فيه على الكافر أعضاؤه :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١) .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (٢) .  
حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون .

وقالوا لجلودهم : لم شهدتم علينا ؟

قالوا : أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء ، وهو خلقكم أول مرة ، وإليه ترجعون .

وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون .

(١) - ٢٤ - النور .

(٢) أي : يحسون ويساقون .

وفي الحديث الشريف : « من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار »<sup>(١)</sup> .

### النار وأبوابها وأوصافها

قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

لها سبعة أبواب<sup>(٣)</sup> لكل باب منهم جزء مقسوم ﴿<sup>(٤)</sup> .

وفي الحديث الشريف : « ناركم هذه التي يوقد ابن آدم ، جزء من سبعين جزءاً من حرّ جهنم » .

قالوا : والله إن كانت لكافية يارسول الله !

قال : فإنها فضّلت عليها بتسعة وستين جزءاً ، كلّها مثل حرها »<sup>(٥)</sup> .

« اشتكت النار إلى ربها ، فقالت :

(١) مسلم .

(٢) يعني الكافرين .

(٣) أي : أطباق .

(٤) ٤٤ - الحجر .

(٥) البخاري ومسلم والترمذي .

فَيَخْتَمُ عَلَى فِيهِ - أَي : فَلَا يَقْدِرُ عَلَى النُّطْقِ - فَيَقُولُ  
لأركانِهِ : انطِمْي .

فتنطق بأعماله ، ثم يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلَامِ .

فَيَقُولُ : بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً ، فَعَنَكُنَّ كُنْتَ أَنْاضِلُ « (١) .

وهذا تفسير لقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ،  
وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيهِمْ ، وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (٢) .

### عاقبة الكافرين النار

قال الله تعالى : ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً .

حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها :

ألم يأتكم رسل منكم ، يتلون عليكم آيات ربكم ،

وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟

قالوا : بلى ، ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين .

قيل : ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها ، فبئس مثوى

المتكبرين ﴿ (٣) .

(٢) ٦٥ - يس .

(١) مسلم .

(٣) ٧١ و ٧٢ - الزمر .

## من صفة أهل النار

في الحديث الشريف : « ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع » (١) .

« ضرس الكافر ، أو ناب الكافر ، مثل أُحُد ، وغلظ جلده مسيرة ثلاث » (٢) .

﴿ تلفح وجوههم النار ، وهم فيها كالخون ﴾ .

قال : « تشويه النار ، فتَقَلَّصُ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سُرَّته » (٣) .

---

(١) البخاري ومسلم .

(٢) مسلم .

(٣) ١٠٤ - المؤمنون والحديث رواه الترمذي .

رب أكل بعضي بعضاً .

فأذن لها بنفسين : نفس في الشتاء ، ونفس في الصيف .  
فهو أشد ما تجدون من الحر ، وأشد ما تجدون من  
الزمهرير « (١) » .

« يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام  
سبعون ألف ملك » (٢) .

وكان النبي ﷺ مع بعض أصحابه إذ سمع وجبة - أي :  
سقطعة عظيمة -

.. فقال : « تدرّون ما هذا ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفاً  
- أي : سبعين عاماً - فهو يهوي في النار حتى انتهى إلى  
قعرها « (٣) » .

(١) البخاري ومسلم .

(٢) مسلم والترمذي .

(٣) البخاري ومسلم .

فليس له اليوم هاهنا حميم<sup>(١)</sup> ولا طعام إلا من  
غسلين<sup>(٢)</sup> لا يأكله إلا الخاطئون ﴿<sup>(٣)</sup> .

وبعد أن ذكر الله تعالى وصف نعيم أهل الجنة قال :

﴿ أذلك خير نزلًا أم شجرة الزقوم<sup>(٤)</sup> إنا جعلناها فتنة  
للظالمين .

إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم .

طلّعها<sup>(٥)</sup> كأنه رءوس الشياطين<sup>(٦)</sup> فإنهم لآكلون منها ،  
فمالتون منها البطون .

ثم إن لهم عليها لشوبًا من حميم ﴿<sup>(٧)</sup> .

﴿ ثم إنكم أيها الضالون المكذبون .

لآكلون من شجر من زقوم .

فمالتون منها البطون .

فشاربون عليه من الحميم .

(١) أي : شراب . (٢) هو الضريع الرطب .

(٣) ٣٠ - ٣٧ - الحاقة . (٤) شجرة كريهة منتنة .

(٥) أي : ثمارها . (٦) أي : لقبها .

(٧) ٦٢ - ٦٧ - الصافات .

## شراب أهل النار وطعامهم

قال الله تعالى في شراب أهل النار :

﴿ والذين كفروا لهم شراب من حميم <sup>(١)</sup> وعذابٌ أليم بما كانوا يكفرون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

﴿ إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سِرادقها <sup>(٣)</sup> وإن يستغيثوا يُغاثوا بماء كالمهل <sup>(٤)</sup> يشوي الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفعاً ﴾ <sup>(٥)</sup> .

﴿ وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم <sup>(٦)</sup> ﴾ <sup>(٧)</sup> .

﴿ خذوه فغلّوه <sup>(٨)</sup> ثم الجحيم صلّوه <sup>(٩)</sup> ثم في سلسلة ذرّعها سبعون ذراعاً فاسلكوه <sup>(١٠)</sup> إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحضّ على طعام المسكين .

- 
- |                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| (١) أي : ماء حار .            | (٢) ٤ - يونس .               |
| (٣) أي : سورها .              | (٤) أي : عكر الزيت .         |
| (٥) أي : منزلاً .             | (٦) ٢٩ - الكهف .             |
| (٧) ١٥ - محمد .               | (٨) أي : شدوه بالأغلال .     |
| (٩) أي : جعلوه يصلّي الجحيم . | (١٠) أي : أدخلوا فيه سلسلة . |

وفي الحديث الشريف : « إن الحميم ليُصب على رؤوسهم ،  
فينفذ حتى يخلص إلى جوفه ، فيسلت ما في جوفه حتى يبرق  
من قدميه ، وهو الصَّهر ، ثم يعاد كما كان » (١) .

وهذا تفسير لقوله تعالى في وصف عذاب أهل النار :

﴿ يُصَّبَ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ .

يُصْهِرُ بِهِ مَائِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ .

وَهُمْ مَقَامِعٌ <sup>(٢)</sup> مِنْ حَدِيدٍ ﴿ <sup>(٣)</sup> .

وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية :

﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ  
مُسْلِمُونَ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

ثم قال : « لو أن قطرة من الزقوم ، قطرت في دار  
الدنيا ، لأفسدت على أهل الدنيا معاشهم ، فكيف بمن يكون  
طعامه » <sup>(٥)</sup> .

(١) ، (٥) الترمذي .

(٢) أي : سياط .

(٣) ١٩ - ٢١ - الحج .

(٤) ١٠٣ - آل عمران .

- فشاربون شرب المهيم <sup>(١)</sup> .
- هذا نُزُّهم <sup>(٢)</sup> يوم الدين .
- نحن خلقناكم ، فلولا تصدقون ﴿ <sup>(٣)</sup> .
- ﴿ إن لدينا أنكالاً وجحياً .
- وطعاماً ذا غصّة وعذاباً أليماً ﴾ <sup>(٤)</sup> .
- ﴿ لا يذوقون فيها برّداً ولا شراباً .
- إلا حميماً وغساقاً <sup>(٥)</sup> جزاءً وفاقاً <sup>(٦)</sup> ﴾ <sup>(٧)</sup> .
- ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع <sup>(٨)</sup> لا يسمن ولا يغني  
من جوع ﴾ <sup>(٩)</sup> .

---

(١) الإبل العِطاش .

(٢) أي : ضيافتهم .

(٣) ٥١ - ٥٧ - الواقعة .

(٤) ١٢ و ١٣ - الزمل .

(٥) أي : ما يُعَسَّق أي : يسيل من صديد أهل النار .

(٦) أي : موقفاً لسوء أعمالهم .

(٧) ٢٤ - ٢٥ - النبأ .

(٨) نبت ذي شوك .

(٩) ٦ و ٧ - الغاشية .

واخضعوا لشرع الله ، وارضوا بأحكام دين الله .  
احذروا التشبه بالكافرين ، ولا تتصفوا بأوصافهم .  
واجتنبوا صحبتهم ، ولا تعبئوا بسخريتهم ، ولا تطيعوهم  
في شأن ، ولا توالوهم بحال .  
واطلبوا النجاة ، واحذروا موجبات الهلاك .

تعهدوا إيمانكم ، واحرصوا عليه ، واطردوا من قلوبكم  
الوساوس ، واقتلعوا منها الشبهات .  
واتقوا الله ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون .  
﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (١) .

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه ، وهو في  
الآخرة من الخاسرين ﴾ (٢) .

---

(١) ١٩ - آل عمران .

(٢) ٨٥ - آل عمران .

## أهون أهل النار عذاباً

في الحديث الشريف : « إن أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة ، لرجلٍ توضع في أخمص قدميه <sup>(١)</sup> جمرتان ، يغلي بهما دماغه » <sup>(٢)</sup> .

نعوذ بالله من عذاب الله !

نداء !

فيا أيها الناس !

آمنوا بالله وباليوم الآخر .

احذروا الكفر ، وما يؤدي إليه من المكفّرات :

لا تستهينوا بفرائض الله ، ولا تستحلّوا ما حرّم الله ، ولا تزدروا سنة رسول الله .

عظّموا ما عظم الله ، وحقّروا ما حقّر الله .

(١) أخمص القدم : باطنه الذي لا يصيب الأرض .

(٢) البخاري ومسلم .

اللهم احفظني بالإسلام قاعداً . واحفظني بالإسلام راقداً ،  
ولا تُثمت بي عدواً ولا حاسداً .

اللهم أعطني إيماناً صادقاً ، و يقيناً ليس بعده كفر . ورحمة  
أنال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة .

اللهم إني أعوذ بك من الكفر والديون والفقر ، وأعوذ بك  
من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من فتنة الدجال .

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على  
المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .



## دعاء

ربنا أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين .

ربنا أفرغ علينا صبراً ، وتوفنا مسلمين .

ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين .

ونجنا برحمتك من القوم الكافرين .

ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا .

واغفر لنا ربنا ، إنك أنت العزيز الحكيم .

فاطِرَ السموات والأرض ، أنت وليي في الدنيا والآخرة ،  
توفني مسلماً وألحقني بالصالحين .

ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ، إن عذابها كان غراماً .

اللهم يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم ، واسمك العظيم ، من الكفر

و الفقر .

## الفهرس

الموضوع	الصفحة
الكفر والمكفرات .....	٥
معنى الكفر .....	٥
أنواع الكفر .....	٦
قد يطلق الكفر على غير الكفر بالله .....	١٠
أصول الكفر .....	١١
١ - المكفرات الاعتقادية .....	١١
٢ - المكفرات القولية .....	١٤
٣ - المكفرات العملية .....	١٦
الشرك من الكفر .....	١٧
الشرك نوعان .....	٢٠
مذمة الرياء .....	٢١
قد يفضي الرياء إلى الاستهزاء .....	٢٦
دواء الرياء .....	٢٧
أسباب الفعل لغير الله كفر .....	٢٩



- ٧٨ ..... فتنة المنافقين
- ٧٩ ..... هربهم من الاحتكام إلى الله والرسول
- ٨١ ..... حرص النبي ﷺ على هدايتهم
- ٨٤ ..... مثل المنافق
- ٩٠ ..... من أقوال المنافقين الماكرة
- ٩٢ ..... الردة بعد الإيمان كفر
- ٩٣ ..... تحذير النبي ﷺ أمته من الرجوع إلى الكفر
- ٩٤ ..... المرتد يقتل
- ٩٥ ..... المكروه على الكفر ليس بكافر
- ٩٦ ..... وصف غير الله بالألوهية كفر
- ١٠٣ ..... الكذب على الله كفر
- ١٠٨ ..... البحيرة
- ١٠٩ ..... السائبة - الوصيعة - الحامي
- ١١١ ..... الكذب في الرؤى
- ١١٢ ..... التلاعب أحكام الحلال والحرام كفر
- ١١٣ ..... الحيل الشرعية
- ١١٨ ..... الحكم بغير ما أنزل الله كفر

- ٣٠ ..... الناس فريقان : مؤمن وكافر
- ٤٢ ..... أكثر الناس كافرون
- ٤٣ ..... الكفر أعظم الذنوب
- ٤٥ ..... النفاق أقبح أنواع الكفر
- ٤٥ ..... تعريفه
- ٤٨ ..... من أوصاف المنافقين
- ٤٨ ..... المكر والخديعة
- ٤٩ ..... التثاقل عن الطاعة
- ٥٠ ..... الكذب والحلف الكاذب
- ٥٩ ..... من فضائح المنافقين .
- ٥٩ ..... تخلفهم عن الجهاد
- ٦١ ..... المزم بالصدقات
- ٦٣ ..... أذاهم للنبي ﷺ
- ٦٤ ..... الحذر من الفضيحة
- ٦٥ ..... الكذب
- ٦٧ ..... تقض العهد ، وإخلاف الوعد
- ٧٣ ..... مسجد الضرار

- ١ - ناقة صالح عليه السلام ..... ١٧٢
- ٢ - إبراهيم عليه السلام والنار ..... ١٧٤
- ٣ - معجزة موسى عليه السلام ..... ١٧٥
- ٤ - من معجزات عيسى عليه السلام ..... ١٧٦
- ٥ - من معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ..... ١٧٧
- سخرية الكافر من المؤمن ..... ١٧٩
- الكافر لا ينفعه عمر ..... ١٨١
- لا تنفع الكافر عظة ..... ١٨٧
- الكافر في غرور ..... ١٩١
- استدراج الكافر ..... ١٩٥
- تغريب الكافر بالمؤمن ..... ١٩٨
- الكافر مغلوب منهزم ..... ١٩٩
- الغلظة على الكافرين ..... ٢٠٤
- إعلان البراءة من الكافرين ..... ٢٠٥
- الكافر لا يُطاع ..... ٢٠٨
- النهي عن التعمود مع الكافرين ..... ٢١٢
- النهي عن موالاته الكافرين ..... ٢١٥

- ١١٩ ..... الكفر بالجزء كفر بالكل
- ١٢٤ ..... عمى الكافر عن آيات الله تعالى
- ١٢٨ ..... الكفر بالله جهلاً وحمقاً
- ١٣٠ ..... تكذيب الرسل دَيْدَن الكافرين
- ١٣٥ ..... إيذاء الكافرين الرسل
- ١٣٦ ..... صور من أذى المشركين النبي ﷺ
- ١٣٩ ..... هجرة النبي ﷺ إلى الطائف
- ١٤٣ ..... تكذيب الكافرين بالقرآن
- ١٥٢ ..... حجة الكافر داحضة
- ١٥٤ ..... ترغيب الكافر بالإيمان
- ١٥٥ ..... لاعذر للكافر
- ١٥٦ ..... شر الكفر يعود على صاحبه
- ١٥٧ ..... مجانية الكفر حَيْطَة
- ١٥٩ ..... الكافر في ضلال
- ١٥٩ ..... الكافر ممقوت
- ١٦١ ..... شطط الكافر وعناده
- ١٧٢ ..... التكذيب بالمعجزات

- ٢٥٢ ..... سبب تكذيب الكافر بالآخرة
- ٢٥٣ ..... ندامة الكافر في الآخرة
- ٢٥٩ ..... من وعيد الكافرين وتهديدهم
- ٢٦٤ ..... تشهد على الكافر أعضاؤه
- ٢٦٦ ..... عاقبة الكافرين النار
- ٢٦٧ ..... النار وأبوابها وأوصافها
- ٢٦٩ ..... من صفة أهل النار
- ٢٧٠ ..... شراب أهل النار وطعامهم
- ٢٧٤ ..... أهون أهل النار عذاباً
- ٢٧٤ ..... نداء !
- ٢٧٦ ..... دعاء !
- ٢٧٩ ..... الفهرس

- ٢١٧ ..... ملاحظة
- ٢١٨ ..... عداوة الكافر للمؤمن
- ٢٢٠ ..... مثل الكافر
- ٢٢٤ ..... الكافر شر الدواب
- ٢٢٥ ..... الله تعالى يمهل الكافر
- ٢٣٠ ..... على الكافر اللعنة
- ٢٣٢ ..... رأس من يستحق اللعنة إبليس
- ٢٣٣ ..... ما يجوز لعنه
- ٢٣٥ ..... مالا يجوز لعنه
- ٢٣٧ ..... الكفار يلعن بعضهم بعضاً
- ٢٣٨ ..... تقمة الكافر على من أضله
- ٢٤٠ ..... الشيطان يورط في الكفر
- ٢٤٢ ..... الكافر محروم من المغفرة
- ٢٤٢ ..... النهي عن التشبه بالكافر
- ٢٤٧ ..... النهي عن الاستغفار للكافرين
- ٢٤٨ ..... تكذيب الكافر بالآخرة
- ٢٤٩ ..... حكموا العقل السليم

## تحت الطبع للمؤلف

- ١ - منهاج التربية الصالحة .
- ٢ - الدعوة إلى الإسلام .
- ٣ - من محاسن الإسلام .

### سلسلة العقائد :

- ١ - الإيمان بالله تعالى .
- ٢ - الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام .
- ٣ - الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام .
- ٤ - الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر .
- ٥ - الإيمان - خصائصه ، علاماته ، ثمراته .
  - القسم الأول .
  - القسم الثاني .
- ٦ - الكفر والمكفرات .



## تحت الطبع للمؤلف

- ١ - منهاج التربية الصالحة .
- ٢ - الدعوة إلى الإسلام .
- ٣ - من محاسن الإسلام .

### سلسلة العقائد :

- ١ - الإيمان بالله تعالى .
- ٢ - الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام .
- ٣ - الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام .
- ٤ - الإيمان باليوم الآخر وبالقضاء والقدر .
- ٥ - الإيمان - خصائصه ، علاماته ، ثمراته .
  - القسم الأول .
  - القسم الثاني .
- ٦ - الكفر والمكفرات .

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

١٢٠ شارع الأزهر تلفون ٩٣٢٨٢٠ - ٩٣٥٦٤٤  
ص ب ١٦١ النورية قاهره ٩٣٩٨٧ يجيتل بكار